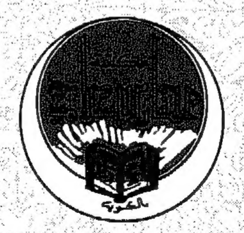
هدى المحبين
إلى سيرة إمام المرسلين

د. فؤاد عبدالله العمر



منشورات
مكتبة المنار الإسلامية
الكويت ١٩٩٧

هدى المحبين

إلى سيرة إمام المرسلين

د. فؤاد عبدالله العمر

مكتبة المنار الإسلامية

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه».

(خ : ٥٤)

قال صلى الله عليه وسلم : «سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته ، من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته».

حديث حسن - ص ج ص : ٣٥٩٦

إذا مات ابن آدم جاء يجرى ... عليه الأجر عد ثلاث عشر

علوم بثها ، ودعاء نجل ... وغرس النخل ، والصدقات تجرى

وراثة مصحف ، ورباط ثغر ... وحَفر البئر ، أو إجراء نهر

وبيت للغريب بناه يأوى ... إليه ، أو بناء محل ذكر

وتعليم لقرآن كريم ... شهيد للقتال لأجر بر

كذا من سنَّ صالحة ليقضى ... فخذها من أحاديث بشعر

نقلا من الأدب المفرد: ٧٩/١

الإهداء

إلى كل من له فضل علي في التربية والعلم والتنشئة وهم كثير

﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾.

الأحقاف : ١٥

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾.

الفرقان : ٧٤

﴿والذين جاءوا من بعدهم، يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

الحشر : ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لتأليف هذا الكتاب قصةً. وهى وإن كانت من خلجات النفس وذكريات المرء، إلا أنني رأيت ذكرها وأحببت نشرها، شكرا لنعم الله علي في إعداد هذا الكتاب. وكما يقال، لكل عمل دوافع، ودوافع هذا العمل كانت كثيرة ومتتالية بحيث لم تدع للشيطان فرصة لتغيير النية أو تثبيط العزيمة، فلله الحمد والمنة.

وأول هذه الدوافع، أن المرء إذا بلغ من العمر أشده وتأمل أعماله وأفعاله، ثم تدبر قوله تعالى **﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾**[1]، ثم قرن ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2]، فإن المرء يرى في حال نفسه، أنه في ضعف من بعد قوة مع دنو الأجل وقرب اللقاء. ولذلك فإن العاقل الحصيف الذى يرى بعين الواقع، يجد أن الأمر الثالث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورغير مقدورعليه لقوله تعالى **﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾**، فلا يرى أمامه إلا أن يحقق التوجيه الاول وأن يجتهد في عمل الثاني الذى قد يكون مبدؤه هذا الكتاب.

ثم إذا تأمل النجيب في أحوالنا ومعاشنا، فإنه سيتيقن أنه إذا لم يتعهدنا الله برحمته، فلا نجاة من سعيره. وإذا قرن ذلك مع قائمة الأعمال الصالحة المنجية من جحيمه، فسيجد أن أعظمها حب الرسول صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[3]. كما أن من أكبر نتائج شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة،

---

(١) الايات من سورة النحل: ٩.

(٢) م : ٥/٧٣.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

الشرب من حوضه الكريم لإطفاء العطش في الآخرة. ولذا فالعاقل يجد أن هذا الطريق، وهو حب رسوله صلى الله عليه وسلم هو من أقرب الطرق إلى محبة الله ورضوانه ودخول جناته، فلا عجب أن استمسك به كل حكيم ومريد وعارف.

وفي السنة التى نويت فيها الكتابة، تتابعت علي دواعي التأمل في سيرته صلى الله عليه وسلم، ففيها أخذت أتابع برنامجا للدكتور/ عبد العزيز الحميدى من إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية يتحدث فيه عن مواقف ربانية للرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، فحمسني ذلك للقراءة أكثر في سيرته صلى الله عليه وسلم، ثم أهداني الاخ الكريم/ سعيد باشنفر بعضا من إصداراته المفيدة حول أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، فحرك بي الهمة وحمسنى للكتابة عنه صلى الله عليه وسلم. كما زادت همتى بسماعي للعديد من خطب الجمعة التى يذكر فيها الخطباء، حوادث عديدة للرسول - صلى الله عليه وسلم - وكنت أتأثر بالكثير منها وأقول لو جمع ما تفرق منها، لكانت للمسلمين خير واعظ. فمن توالى هذه الأمور وتتابعها، لمست فيها إشارات ربانية حاثة على معرفة سيرته صلى الله عليه وسلم، فساعدني ذلك على شحذ الهمة وكسر كسل النفس. ومن البشارات أثناء إعدادى لهذا الكتاب، أنه في أسفارى كنت أمر وبدون ترتيب مسبق بمطار المدينة المنورة (عابرا) على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، فكانت لي كالمحفز من بعد ركود وكالباعث من بعد كسل. ومن البشارات أنني شرعت في تأليفه في شهر ربيع الأول ١٤١٦هـ وانتهيت من مراجعته في شهر ربيع الأول ١٤١٧هـ. فكان ذلك متفقاً مع شهر مولده وهجرته ووفاته والذي كان شهر ربيع الأول.

واعلم - نور الله قلبي وقلبك وضاعف من حبي وحبك لهذا النبي الكريم – أن تأمل سيرته ومعرفة طريقته من أقرب السبل المؤدية إلى محبته وتعظيمه وتوقيره كما قال تعالى **﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾**(٤). ولذلك فقد شمرت عن ساعد الجد واستعنت بالله ولم أتوان عن الكتابة مع قلة بضاعتي وكثرة مشاغلي.

---

(٤) سورة الاعراف ٧ : ١٥٧.

وكنت كلما أقرا أكثر في الثروة العظيمة التى خلفها علماؤنا رحمهم الله عن حياته صلى الله عليه وسلم أستشعر ضآلة عطائي في الكتابة في هذا المجال. وكلما قلت يكفى ماكتب عنه صلى الله عليه وسلم، دعاني ما ذكرته من المحفزات إلى شحذ الهمة وبذل الجهد. فعزمت على الكتابة ولكن نويت أن أكتبه لنفسى رجاء أن يكون لى خير واعظ، وحرصت أن أكتب سيرته وكأنه قرآن يمشى في الأرض وكبشير أرسله الله رحمة للعالمين.وسطرت حياته وكأنني أعيش معه صلى الله عليه وسلم. راجيا من الله أن يحقق - هذا الكتاب - مراده سبحانه وتعالى بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيره، مصداقا لوصفه - سبحانه وتعالي - نبيه صلى الله عليه وسلم وما يجب على المؤمنين نحوه فقال **﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيل﴾**[1].

فلله الحمد والمنة مصداقا لقوله تعالى **﴿اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور﴾**[2].

ربيع الأول ١٤١٧

---

(١) سورة الفتح ٤٨ : ٨-٩.

(٢) سورة سبأ ١٣:٣٤

عملي في الكتاب :-

١) جمعت سيرته صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة الواردة في صحيح البخارى ومسلم وصحيح الجامع الصغير مع محاولة الجمع بينها ولم أتجاوز عنها إلا في حالات يسيرة اقتضاها السياق. وقد حرصت على الإبقاء على النص الأصلى، ماوسعنى ذلك، لأنه أبلغ أثرا في النفوس والقلوب. ولم أعلق على الحوادث إلا عند شعورى بالحاجة إلى ذلك. وما خفى من المعاني حرصت على توضيحه، أحيانا ضمن النص ووضعته بين قوسين دائريين أو في الهامش وذلك بحسب ما يقتضيه الحال.

٢) وسعيا نحو الاختصار فقد رمزت لصحيح البخارى بحرف خ والرقم الذى يليه هو رقم الحديث نقلا من فتح البارى طبعة المكتبة السلفية. أما صحيح مسلم فتم العزو إليه بالحرف م، مثل م : ١٢٠/٧ والرقم الأول هو رقم الجزء مثل السابع والرقم الثاني هو رقم الصفحة (وهي ١٢٠) نقلا من طبعة استانبول. أما صحيح الجامع الصغير للالباني فقد أشرت إليه اختصارا بالحروف ص ج ص والرقم الذى بجانبه هو رقم الحديث.

٣) لم أكتف بذكر سيرته ومغازيه صلى الله عليه وسلم، بل تناولت جوانب عديدة من حياته لم تتطرق إليها كتب السيرة والمغازى مثل الرقائق ومعاشرته لأزواجه وسيرته مع أصحابه وجوانب أخرى رأيت من الفائدة ذكرها. ومع أن سيرته صلى الله عليه وسلم، غنية بالمعاني واللطائف، إلا أنني آثرت الاختصار غير المخل.

٤) في السرد التاريخي لسيرته، سعيت إلى الالتزام بترتيب سيرة ابن هشام مع تجاوز في بعض الحالات التى ذكرتها في ثنايا الكتاب.

٥) كما اقتصرت على اسم الكتاب في الهوامش إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب واحد مثل ابن القيم وابن حجر رحمهما الله، أما إذا كنت رجعت إلى كتاب واحد من كتب المؤلف، فاقتصرت على اسم المؤلف كعبد الوهاب مثلا إشارة إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

الفصل الأول :

حب الرسول صلى الله عليه وسلم

إن حب الله وحب رسوله - صلى الله عليه وسلم، من أجل الواجبات على المسلم وأكمل النعم عليه. ولذلك جعل حبه صلى الله عليه وسلم من أسس الإيمان، كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1]. إضافة إلى أن حب الله وحب رسوله من الإيمان، فهو أيضا من علامات حلاوة الإيمان في القلوب والنفوس. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[2]. ولا يذوق المؤمن حلاوة طعم الإيمان إلا بالرضى به - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا وسراجا منيرا، كما قال صلى الله عليه وسلم «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا »[3]. ولذلك فعلى المسلم أن يحرص على حب الله وحب رسوله ويطرح نفسه بين يدي مولاه طلبا لرضاه ومحبته. ولعل من أكمل الطرق لحب الله، الاخلاص له في العبادة وكثرة ذكره والمداومة على قراءة القرآن. وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم، فإن تأمل سيرته ومعرفة حبه لأمته، هما من أقرب الطرق لتنامى حبه صلى الله عليه وسلم في النفوس حتى يجد حلاوته في القلوب.

ولذلك فلا عجب أن يسعى المؤمنون إلى حب رسولنا صلى الله عليه وسلم، لأنه سيشفع لمحبيه وتابعيه يوم القيامة. فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه

(١) خ : ١٥.
(٢) خ : ١٦ و م : ٤٨/١.
(٣) م : ٤٦/١.

وسلم قال «يجتمع المؤمنون يوم القيامة (عند شدة الضنك) فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم (أي لست مقصودكم)، ويذكر ذنبه فيستحى، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتونه (أي نوح) فيقول : لست هناكم - ويذكر سؤاله ربه ماليس له به علم، فيستحى فيقول : ائتوا خليل الرحمن. فيأتونه (أي ابراهيم)، فيقول : لست هناكم، ائتوا موسى، عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة. فياتونه فيقول : لست هناكم. ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحى من ربه فيقول : ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمة الله وروحه، فيقول (أي عيسى) : لست هناكم، ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تآخر، فيأتوني، فانطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ماشاء الله، ثم يقال : ارفع رأسك، وسل تعط، وقل تسمع، واشفع تشفع. فأرفع رأسى، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لى حدا (أي جمعا من أمته)، فأدخلهم الجنة. ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي - مثله - ثم أشفع، فيحد لى حدا، فأدخلهم الجنة. ثم أعود الثالثة، ثم أعود الرابعة فأقول : مابقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»[٤]. قال أبو عبدالله البخارى : إلا من حبسه القرآن يعنى قول الله تعالى ﴿**خالدين فيها**﴾. ومن عظم محبته لأمته، فقد أخر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دعوته المستجابة لتكون فيها شفاعته لأمته، كما قال صلى الله عليه وسلم «لكل نبى دعوة قد دعا بها، فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة»[٥]. وأحق الناس بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هم الموحدون، كما قال لأبي هريرة «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»[٦].

---

(٤) خ : ٤٤٧٦.
(٥) خ : ٦٣٠٥.
(٦) خ : ٩٩.

ومن أحب الرسول صلى الله عليه وسلم كان معه في الآخرة والجنة. فعن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرء مع من أحب[٧]. وفي رواية أبي موسى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : المرء مع من أحب[٨] . كما أن حب الله ورسوله هو وقاية وحرز للمرء يوم القيامة، عندما يتخلى عنه الأصحاب والأحباب فلا يبقى إلا حب الله ورسوله. فعن أنس بن مالك : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة يارسول الله ؟ قال : ما أعددت لها؟ فكأن الرجل استكان، ثم قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنى أحب الله ورسوله. قال : أنت مع من أحببت[٩] . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت. قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[١٠].

كما أن من فضائل حبه صلى الله عليه وسلم، الشرب من حوضه الشريف صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عندما يصل العرق إلى الأذقان. ومن الأمور المانعة للشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم النكوص في الدين. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول : يارب منى ومن أمتى؟ فيقال : هل شعرت ماعملوا بعدك؟ والله مابرحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مليكة (أحد رواة الحديث) يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا[١١] .

---

(٧) خ : ٦١٦٨.
(٨) خ : ٦١٦٩
(٩) خ : ٧١٥٣ و م : ١٨٧/١٦.
(١٠) خ : ٣٦٨٨، م: ٤٢/٨.
(١١) خ : ٧٠٤٧.

ومما يعين على دوام محبته صلى الله عليه وسلم، مراجعة سيرته وقراءة مغازيه. ولذلك كانت حياته وسيرته صلى الله عليه وسلم حافزا - لمن عاش معه أو تدبر سيرته - على محبته صلى الله عليه وسلم. ولعل هذا أول أهداف الكتاب. فالتأمل في حياته كما عاشها مع أصحابه وروايتها عنه كما ذكرت، تعمق محبته في النفوس وتضفى الطمأنينة على القلوب. ومن أمثلة دواعى محبته حال حياته، أنه كان يعرف أحاسيس أصحابه ويعطف عليهم. فقد كان صلى الله عليه وسلم، يعرف لحظات النفوس وما يظهر على خلجات الوجوه من التأثر. فقد أهدى أحد أصحابه وهو الصعب بن جثامه الليثى - رضي الله عنه، حمارا وحشيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم فرده، قال صعب : فلما عرف في وجهي رد هديتي، قال : ليس بنا رد عليك ولكنا حرم[١٢]. وجاء آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : أين أبى (وتوفي على غير الملة) ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : في النار، فلما رأي مافى وجهه (من التأثر)، قال : إن أبى وأباك في النار[١٣].

أما دواعي محبته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فلأنه السراج المنير والرحمة المهداة إلى العالمين، دلنا على سبيل الهداية والرشاد وأبعدنا عن سبيل الغواية والفساد وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ونتيجة لذلك فقد تعمقت محبته في قلوب أصحابه، حتى إنه لأحب إليهم من أنفسهم، وهذا لايكون إلا بسمو سيرته صلى الله عليه وسلم. فعن عبدالله بن هشام : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر : يارسول الله، لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسي. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذى نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال

(١٢) خ : ٢٥٩٦.
(١٣) م : ١٣٢/١-١٣٣.

له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن ياعمر(١٤).

والمحبة كما قال النووى : الميل إلى مايوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر(١٥). وكما قيل لكل محب علامات وكذلك محبته صلى الله عليه وسلم لها علامات ولعل هذا الهدف الثاني من تأليف هذا الكتاب. فتأمل سيرته كما عاشها الصحابة معه صلى الله عليه وسلم، معين على معرفة علامات محبته صلى الله عليه وسلم. فمن علامات هذه المحبه والصدق فيها، تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره تصديقا لقوله تعالى **﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾**(١٦). وكان للصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان، في تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، حوادث عجيبة تدل على عمق محبتهم له. ومن هذه العلامات أيضا ابتعاد الصحابة عما يؤذيه، كما كان صلى الله عليه وسلم من حبه وشفقته عليهم، يتفقدهم إذا غابوا. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾** إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال : أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت، أشتكى؟ (أي مرض)» فقال سعد : إنه لجاري، وما علمت له بشكوى. قال : فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت : أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة»(١٧).

---

(١٤) خ : ٦٦٣٢.
(١٥) فتح البارى : ٥٧/١.
(١٦) سورة الفتح ٤٨ : ٨-٩.
(١٧) م : ٧٧/١ والآيات من سورة الحجرات ٤٩ : ٢.

والمتأمل لسيرة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، يلاحظ شدة محبتهم له صلى الله عليه وسلم. وتحرك قلب المؤمن وانفعاله عند ورود ذكره صلى الله عليه وسلم، من علامات محبته صلى الله عليه وسلم. ومن أمثلة ذلك، حادثة عمربن الخطاب - رضى الله عنه - مع العجوز. فقد خرج عمر رضى الله ليلة يحرس الناس، فرأي مصباحا في بيت عجوز تنفش صوفا وتقول :-

على محمد صلاة الأبرار	صلى عليه الطيبون الأخيار
لقد كنت قواما بكاء بالأسحار	ياليت شعرى والمنايا أطوار[18]
هل تجمعنى وحبيبى الدار	(تعنى النبي صلى الله عليه وسلم)

فجلس عمر رضي الله عنه يبكى وقال لها : أدخلينى معكما وقولى (وعمر فاغفر له ياغفار)[19] .

وكان الصحابة من محبتهم له صلى الله عليه وسلم، يحبون من أحبه وذريتهم كذلك. فعن عبدالله بن دينار قال «نظر ابن عمر يوما - وهو في المسجد - إلى رجل يسحب ثيابه في ناحية من المسجد فقال : انظر من هذا؟ ليت هذا عندى. قال له إنسان : أما تعرف هذا يا أبا عبد الرحمن ؟ هذا محمد بن أسامه. قال فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيديه في الأرض، ثم قال : لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه»[20]. وجزم ابن عمر بذلك لما رأي من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة وأسامة وذريتهما، فقاس ابن أسامة على ذلك. ويصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أحبني فليحب أسامة»[21].

ومن علامات محبته، اتباعه صلى الله عليه وسلم. وهذه جعلها الله سبحانه وتعالى كذلك علامة محبته له عندما قال عز وجل «**قل إن كنتم تحبون الله**

---

(١٨) أي لها أسباب مختلفة.

(١٩) القاضي عياض : ٥٢/٢.

(٢٠) خ : ٣٧٣٤.

(٢١) م : ٢٠٣/٨-٢٠٥.

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم».[٢٢] ويدخل في ذلك الاتباع، حب سماع سيرته ونصرة سنته والذب عن شريعته. كما يدخل في ذلك تحكيمه بالانقياد لشرعه والاهتداء به دون غيره في الأقوال والأعمال وكذا أحاسيس ومشاعر القلوب.وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن مثلي ومثل مابعثني الله به، كمثل رجلٍ أتى قومه، فقال: ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى وإنى أنا النذيرالعريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأركبوا (أي ساروا أول الليل)، فانطلقوا على مهلتهم. وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق»[٢٣]. ومن أطاعه صلى الله عليه وسلم دخل الجنة، كما قال صلى الله عليه وسلم «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»[٢٤].

وحب التابعين لذكره وسيرته إلى يوم الدين وهم لم يروه، من علامات محبته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أشد أمتى لى حبا ناس يكونون بعدى يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»[٢٥].ومن أمثلة تعظيم التابعين، تأثرهم وبكاؤهم عند ذكره صلى الله عليه وسلم ومنهم أيوب السختياني. كان مالك يعظم أيوب السختياني وهو من الأئمة الأعلام وكان يقول ماحدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، لأنه كما قال مالك: حج معه حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه[٢٦]. وكان عامر بن عبدالله بن الزبير، وهو الذى قيل عنه إنه اشترى نفسه من الله تعالى ستة مرات، إذا

---

(٢٢) سورة آل عمران ٣ : ٣١.
(٢٣) خ : ٧٢٨٣ م : ٦٣/٧.
(٢٤) خ : ٧٢٨٠.
(٢٥) م : ١٤٥/٨.
(٢٦) القاضي عياض : ٩٣/٢.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع[٢٧]. وهؤلاء التابعون بشرهم صلى الله عليه وسلم بحسن الجزاء عندما قال «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى ثم طوبي ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني»[٢٨]. وكان الزهرى من أهنأ الناس، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ماعرفك ولا عرفته[٢٩]. وكان صفوان ابن سليم وهو من العباد، إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه[٣٠]. ولمحبتهم له صلى الله عليه وسلم، فقد أحبهم كما قال: «وددت أني لقيت إخواني، الذين آمنوا ولم يروني»[٣١].

وإضافة إلى الأمر الديني بمحبته صلى الله عليه وسلم، فإن المحبة تحصل لمن لم يشاهده، بمطالعة سيرته صلى الله عليه وسلم ومعرفة حياته وخلقه وسائر فضله وشفقته ورحمته. وهذا لا يحدث بمعرفة مغازيه ولا بتذكر وقائعه فقط وإنما بمعرفته كما عاش ووجه وقال وكأنه شاخص أمامك، فتنفعل لها أحاسيسك ومشاعرك وعاطفتك. ولعل هذا هو الهدف الثالث والأساسي من تأليف هذا الكتاب.

والثمرة المنشودة من تتبع سيرته ومعرفة أحواله وأفعاله هي الاستجابة لأمره ونهيه، مصداقا لقوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون. واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾**[٣٢].

---

(٢٧) القاضي عياض: ٩٥/٢.
(٢٨) حديث صحيح من ص ج ص: ٣٨١٨.
(٢٩) القاضي عياض: ٩٥/٢.
(٣٠) القاضي عياض: ٩٥/٢.
(٣١) حديث صحيح من ص ج ص: ٦٩٨٥.
(٣٢) الأنفال ٨: ٢٤.

الفصل الثاني:

النشأة والتكوين

ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يوم الاثنين بلا خلاف لثنتي عشرة ليلة خلت منه في عام الفيل، في أكرم نسب وأكرم سلالة. وقد اصطفاه سبحانه وتعالى من الخلائق جميعا كما قال صلى الله عليه وسلم «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[١].

إرضاعه صلى الله عليه وسلم

وقد أرضعته ثويبة أياما، وهي مولاة أبي لهب[٢] وأرضعت معه عمه حمزة وأبا سلمة المخزومي[٣]. ثم أرضعته حليمة السعدية، وفصلته لحولين كاملين وكان إرضاعها له بركة وخيرا عليها وعلى أهلها عندما قدمت به إلى أرضها وأهلها، حتى قال زوج حليمة: تعلمين والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة. وكانت حليمة ونسوة من بني سعد، يرفضن أخذ النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يتيما وكانت النسوة ترجو المعروف عادة من أبي الصبي. فأخذته حليمة لأنها لم تجد رضيعا غيره. فلما وضعته صلى الله عليه وسلم في حجرها أقبل عليه ثدياها (وكان ابنها لا ينام من الليل لجفاف ثديها) بما شاء من لبن، فشرب وشرب أخوه ثم قام زوجها إلى غنمهم فوجدها ممتلئة حليبا، فحلب منها وشربا حتى رويا، فباتوا بخير ليلة، فلما أصبح قال زوجها : تعلمين والله ياحليمة، لقد أخذت نسمة مباركة. فلما ارتحلوا كانت دابتهم أسرع الدواب حتى استنكرت

---

(١) م : ٢٦/١٥.

(٢) خ : ٥١٠١.

(٣) زاد المعاد : ١٩/١.

النساء اللاتي كن معها ذلك وقلن : إن لحمارك هذا شأنا . ثم قدموا منازلهم وكانت أجدب الأراضي، فكانت غنم حليمة، تعود مملؤة حليبا وأما غيرها فكانت تعود عجافا حتى إن رجال بنى سعد قالوا لرعاتهم : ويحكم أسرحوا حيث تسرح غنم حليمة[٤]. وبعد سنتين، قدمت به مكة ثم رجعت به إلى بلاد بني سعد لحرصها عليه وقد سعت إلى حيلة لاقناع أمه برده معهم عندما قالت إنها تخاف عليه وباء مكة ومازالت تراود أمه حتى ردته معهم. وشق صدره صلى الله عليه وسلم في العام الخامس، وهو عندهم.

فبعد حولين من مرجعهما به، أتاه ملكان فشقا صدره، واستخرجا قلبه فشقاه واستخرجا منه علقة سوداء وقالا : هذا حظ الشيطان منك ثم ملآه حكمة وإيمانا ثم لأماه فالتأم الشق بإذن الله تعالى ثم ختماه بخاتم النبوة بين كتفيه كالطابع[٥] ثم قال : أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته ففعل فوزنهم ثم قال : زنه بمائة من أمته ففعل فوزنهم ثم قال : زنه بألف من أمته ففعل فوزنهم حتى قال : دعوه والله لو وزنته بأمته كلها لوزنها. وزاد الطبرى ثم قبلوا رأسه وما بين عينيه، وقالا: ياحبيب الله لم ترع إنك لو تدرى مايراد بك من الخير لقرت عيناك[٦].

ثم قدمت به أي حليمة السعدية إلى أمه لما تخوفت عليه من الشيطان[٧]، فكانت مدة إقامته عندهم نحو خمسة أعوام. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «رأت أمى كأنه خرج منها نور، أضاءت منه قصور الشام»[٨].

---

(٤) ابن هشام ١-٢/١٦٢-١٦٤.

(٥) خاتم النبوة وصف بأوصاف كثيرة أجمعها إنه شاخص في جسده قدر بيض الحمامه وحوله شعر متناثر (القسطلاني : ١/١٦٤).

(٦) ابن هشام : ١-٢/١٦٦.

(٧) قال ابن هشام ١-٢/١٦٥ «فتخوفت عليه حليمة بعد ذلك فردته إلى أمه، فقالت لها: ما أقدمك به ياضئر (الضئر هي المرضعه) وقد كنت حريصة عليه؟ فأخبرتها، قالت: أتخوفت عليه؟ والله، ما للشيطان على ابنى هذا من سبيل وإن له لشأنا، ولقد رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام».

(٨) حديث صحيح عن أبي امامه من ص ج ص: ٣٤٤٥

وفي السنة السادسة من مولده صلى الله عليه وسلم خرجت به أمه معها إلى المدينة فأقامت به شهرا، ثم رجعت به فماتت بالأبواء، بين مكة و المدينة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد زار قبر أمه عندما مر عليه وهو قافل من الحديبية فبكى، وأبكى من حوله «وقال استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت»[٩].

وبعد وفاة أمه كفله جده عبدالمطلب. وكان عبد المطلب يقدم حفيده رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ويجلسه على فراشه ويقول: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنا[١٠]. ثم كفله عمه أبو طالب بعد وفاة جده عبدالمطلب في الثامنة من مولده. وتفرس فيه رجل من رجال العرب ممن هم مشهورون بالفراسة ورأى فيه أنه سيكون له شأن، وطلب رؤيته مرة أخرى، فأخفاه عمه أبو طالب[١١]. وفي السنة الثانية عشرة خرج أبو طالب في تجارة إلى الشام ومعه الرسول صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا بصرى رآه الراهب بحيراء، فتحقق فيه صفات النبوة، فأمر أبا طالب أن يرده إلى مكة خوفا عليه من اليهود والنصارى فرجع به سريعا إلى مكة[١٢]. وروى أن نفراً من الروم أرادوا سوءا به فمنعهم بحيراء الراهب وذكرهم الله وقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، أيقدر أحد من الناس أن يرده؟ قالوا: لا، وانصرفوا عنه[١٣].

وفي الرابعة عشرة: كانت حرب الفجار بين قريش و هوازن والتي استمرت فترة من الزمن وكانت الدائرة لهوازن على قريش فشهدها صلى الله عليه وسلم مع قومه يوما، فانقلبت الدائرة لقريش على هوازن. ثم عقدت قريش حلف الفضول لنصرة المظلوم فشهده مع قومه. وعندما كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة،

---

(٩) م: ٦٥/٣.
(١٠) ابن هشام: ١-١٦٨/٢.
(١١) ابن هشام: ١-١٨٠/٢.
(١٢) ابن هشام: ١-١٨٢/٢.
(١٣) سنن الترمذى: ٢٥٠/٥-٢٥١، رقم الحديث ٣٦٩٩.

شهد مع قومه حرب الفجار، وسميت كذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم التى كانت تمتنع فيها قبائل العرب عن الحرب. وقد نشبت الحرب بين هوازن وقريش ودامت لمدة أربع سنوات متتالية وكانت الدائرة فيها لهوزان على قريش. وكان صلى الله عليه وسلم قد اشترك في هذه الحرب وقيل إنه كان يرد عن أعمامه نبل عدوهم. فلما رأت قريش ماحل بها من تفرق الكلمة وكثرة الظلم، اجتمع بنو هاشم وعبد المطلب وزهرة وتيم وبنى أسد في دار عبدالله بن جدعان، فتعاهدوا على نصرة المظلوم حتى يؤدى إليه حقه[١٤]، وهو ما أطلق عليه حلف الفضول. وحلف الفضول هذا، هو الشيء الوحيد الذى عظمه الرسول صلى الله عليه وسلم من أعمال الجاهلية حيث قال فيه: «لقد شهدت فى دار ابن جدعان حلفا ما أحب أن لى به من حمر النعم ولو دعيت به - في الإسلام - لأجبت»[١٥]. وكذلك قال صلى الله عليه وسلم «شهدت غلاما مع عمومتى حلف المطيبين، فما يسرني أن لي به حمر النعم؟ وأنى أنكثه»[١٦]. وحلف المطيبين حدث قبل حلف الفضول، وفيه تعاهدت بطون قريش على بقاء السقاية واللواء في بنى عبد الدار بعدما حاول بنو عبد مناف أخذها منهم، فغمست هذه البطون أيديهما بجفنة فيها طيب ثم ضربوا به الكعبة، فسمى لذلك حلف المطيبين[١٧].

رعى الغنم :-

وكان صلى الله عليه وسلم قبيل اشتغاله بالتجارة - يرعى الغنم على أجر معلوم وهي القراريط. والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم. فقد قال صلى الله عليه وسلم «مابعث الله نبيا إلا رعى الغنم. فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها

---

(١٤) ابن الاثير: ٤٧٣/١.

(١٥) ابن هشام ١-٢/١٣٤. وعبدالله بن جدعان ابن عم عائشة رضي الله عنها وقد قالت مرة للرسول صلى الله عليه وسلم: إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: لا، إنه لم يقل يوما: ربى أغفر لي خطيئتي يوم الدين (م ١:١٣٦/١).

(١٦) حديث صحيح عن عبد الرحمن بن عوف من ص ج ص: ٣٦١١.

(١٧) الادب المفرد: ٢/٢٢-٢٣.

على قراريط لأهل مكة»[١٨] . والحكمة فى إلهام الأنبياء، رعى الغنم قبل النبوة، ليحصل لهم التمرين برعيها على ما يكلفون به من القيام بأمر أمتهم، من الحلم والشفقة عليها عند رعيها وجمعها والسعى إلى دفع عدوها[١٩] كما هو الحال مع دعوة الناس.

وفي الخامسة والعشرين خرج صلى الله عليه وسلم مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها فرآه نسطور الراهب فقال : أشهد أن هذا نبي، وأنه آخر الأنبياء. فلما رجعا أخبر ميسرة، خديجة - رضي الله عنها - بذلك، وبما شاهد منه صلى الله عليه وسلم فخطبته إلى نفسها، فنكحها. فعن عائشة أنها «قالت ماغرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وثنائه عليها، وقد اوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب (أي من جوهر) [لاصخب فيه ولا نصب][٢٠] . وقد قالت له مرة عائشة من شدة غيرتها عليه " أبدلك الله خيرا منها فقال : ما أبدلنى الله خيرا منها». واستأذنت أخت خديجة، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، أي كانت صفة استئذانها وصوتها شبيها بصوت خديجة، فاهتز صلى الله عليه وسلم لذلك سرورا وفرحا من شدة وفائه لها ومحبته إياها وأليس هو القائل «إني رزقت حبها»[٢١] .

وكانت أم أيمن أمته وكان صلى الله عليه وسلم كثير الزيارة لها من حبه ووفائه لخديجة واستمر على ذلك خلفاؤه من بعده. فعن أنس قال : قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها : ما يبكيك، ماعند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١٨) خ :٢٢٦٢.
(١٩) فتح البارى : ٤٤١/٤ .
(٢٠) خ : ٥٢٢٩ ومابين القوسين م :١٣٤/٧ .
(٢١) م :١٣٤/٧.

فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ماعند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[٢٢]. وهو مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم «ياأيها الناس، أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة، فليعتز بمصيبته بي، عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدا من أمتي، لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»[٢٣].

وفي الخامسة والثلاثين من مولده، بنت قريش الكعبة ووضع صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود في مكانه. وكانت قريش قد دعت إلى بناء الكعبة، فلما أرادوا وضع الحجر الأسود اختصموا فيه، فحكموا أول من يخرج عليهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم فجعل الحجر الأسود في ثوب ثم رفع من كل طرف رجل من كل قبيلة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد شارك في بناء الكعبة وبينما هو يحمل الحجارة، انكشفت عورته فسترت عليه. فعن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما قال «لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على رقبتك يقك من الحجارة (أي يعينك على حمل الحجارة) فخر إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال : إزارى إزارى، فشد عليه إزاره»[٢٤].

وفي الثامنة والثلاثين، حبب إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء ثم كان يرى الأنوار، ويسمع الهواتف، ثم كان تسلم عليه الأحجار والأشجار. فعن جابر بن سمره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»[٢٥]. وقبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بستة أشهر كان وحيه مناما وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

---

(٢٢) م : ٧/١٤٤-١٤٥.
(٢٣) حديث صحيح عن ص ج ص: ٧٧٥٦.
(٢٤) خ : ٣٨٢٩.
(٢٥) م : ١٥/٢٦.

الفصل الثالث :

المحنة المكية والدعوة

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة جاءه جبريل عليه السلام بالوحي من ربه عز وجل بسورة اقرأ ثم المدثر ثم المزمل. فكان في أول أمره يدعو الناس إلى الله سراً حتى أنزل الله عليه ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾[١] فأظهر الدعوة إلى الله.

نزول الوحي :-

وكان أول الوحى هو الرؤيا الصادقة وتجيئه مثل فلق الصبح (من الوضوح) وقد استمرت ستة شهور ثم أتاه جبريل بالرسالة والنبوة وأنزل عليه القرآن في رمضان لقوله تعالى ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين**﴾[٢].

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم. وكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح. فكان يأتي حراء فيتحنث فيه[٣] وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني (أي حبس نفسي) حتى بلغ مني الجهد (أي المشقة) ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق.**

---

(١) سورة الحجر ١٥ : ٩٤.

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٨٥ وسورة الدخان ٤٤ : ٣ وجزم المباركفورى : ٥٦ بنزوله يوم الاثنين لاحدى وعشرين مضت من شهر رمضان.

(٣) التحنث أي يبتغى دين الحنفيه وهو دين إبراهيم عليه السلام (ابن هشام :١-٢/٢٥٤).

اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم﴾[٤]، فرجع بها (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ترجف بوادره [وفي رواية فؤاده] (وبوادره هي اللحمة بين المنكب والعنق) حتى دخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني (أي غطوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال: ياخديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي. فقالت له: كلا، أبشر والله مايخزيك الله أبداً (أي لايهينك بل يكرمك) إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتقرى الضيف (أي تطعم الطعام) وتعين على نوائب الحق (أي الحوادث المحمودة). ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرأً تنصر (أي رجلا قد تنصر في الجاهلية). وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ماشاء الله أن يكتب. وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى. وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفى.[٥]

وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جوارى هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا فلم أثبت له، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا» فنزلت: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر﴾[٦].

(٤) العلق ٩٦: ٢.

(٥) وقال صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل «لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتين» (ص ج ص: ٧١٩٧)

(٦) خ: ٤٩٢٢.

فتور الوحى :-

وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا، غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه، تبدى له جبريل فقال: يامحمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع. فإذا طالت فترة الوحى غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك[٧]. وكان صلى الله عليه وسلم يتحنث لمدة شهر كل عام وكان يتزود ليالي عدة ثم يعود إلى أهله ليتزود مرة أخرى وقد جاءه الوحى بغتة في أواخر شهر رمضان، فعاد إلى أهله وزوجته خديجة ليستأنس برأيها، فهونت عليه خوفه بما عرفته عنه من أخلاق كريمة وطريقة حسنة، فالمرأة الصالحة عون للزوج على عظائم الأمور وسكن للمؤمن كما قال تعالى: **﴿ومن ءايٰته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾**[٨]. وقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم لفتور الوحي لأنه لم يخاطب عن الله بعد بأنه رسول من الله ومبعوث إلى عباده فاشفق أن يكون ذلك أمرا بدئ به ثم لم يرد استفهامه أو يكون قد فاته الأمر الذى بشره به ورقة، فحزن لذلك[٩]. وقد يكون حزنه صلى الله عليه وسلم لخشيته من ألا يستطيع تحمل أعباء النبوة وما قد يحصل من عداء قومه وكان أكره شيء إليه لكمال أخلاقه وحبه لأهله، كما ذكرت خديجة رضي الله عنها. وقد دعا صلى الله عليه وسلم إلى الله مستخفيا لمدة ثلاث سنوات ثم جاهر بالدعوة.

الجهر بالدعوة :-

وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع قومه لما نزلت (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) فصعد صلى الله عليه وسلم على الصفا، وجعل ينادى أقرباءه وأرحامه، حتى

---

(٧) خ : ٦٩٨٢.

(٨) الروم ٣٠:٢١.

(٩) فتح البارى : ٣٦٠/١٢.

اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال صلى الله عليه وسلم: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ماجربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم. ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب**﴾[١٠].

وفي السنة الخامسة من مبعثه صلى الله عليه وسلم هاجر جماعة من الصحابة منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام و عبد الرحمن بن عوف وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ومن معهم إلى الحبشة فأقاموا بها عشر سنين. وكان النجاشي قد أحسن وفادتهم وجاءهم وفد من قريش يحرشونهم على هؤلاء المهاجرين بأنهم فارقوا قومهم وسبوهم، فدعاهم النجاشي ليسألهم عن ذلك، فتلا عليه جعفر بن أبي طالب آيات من سورة «كعهيص». فبكى النجاشي حتى اخضلت (ابتلت) لحيته وبكى أساقفته حتى بلوا مصاحفهم (أي كتب الانجيل) حين سمعوا ماتلا عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا (أي لوفد قريش) فلا والله لا أسلمهم إليكما[١١].

وكان صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام، إذا «صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (**ولا تخافت بها**) عن أصحابك فلا تسمعهم (**وابتغ بين ذلك سبيلا**)[١٢].

وفي السنة السادسة من مبعثه صلى الله عليه وسلم أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فعز بإسلامهما الإسلام.

---

(١٠) خ: ٤٧٧٠. والايات من سورة المسد ١١١ : ١.
(١١) ابن هشام ١-٢/١٣٦-٣٣٧.
(١٢) خ: ٤٧٢٢ والايات من سورة الإسراء ١٧ : ١١٠.

ثم سعى صلى الله عليه وسلم وأظهر دعوته اتباعا لقوله تعالى **﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾**[13] حتى اشتد ذلك على المشركين لما أصابهم من سبه لآلهتهم وآبائهم، فتذمروا وتعاهدوا بينهم على الشر به. فحدب عمه أبو طالب عليه وعرض نفسه للشر دونه، مع بقائه على دينه. فلما رأت ذلك قريش اجتمع أشرافهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه، فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا، وردهم ردا جميلا. ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها، فتذامروا فيه، وحض بعضهم بعضا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له.

ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم. ولم تطب نفسه بخذلان ابن أخيه. فكلم النبي صلى الله عليه وسلم و قد بدا له تركه، والعجز عن نصرته، فقال: ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ماتركته. ثم استعبر صلى الله عليه وسلم باكيا، فقال له عمه أبو طالب: ياابن أخي قل ما أحببت، فوالله ما أسلمك لشيء أبدا[14]. فعند ذلك نابذته قريش وتذامروا للحرب، فوثبت كل قبيلة على من أسلم منهم يعذبونهم.

---

(١٣) خ : ٢٧٥٢ والايات من سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤.

(١٤) الذهبي: ٢/١٥٠، ابن الاثير: ١/٤٨٩.

شدة الأذى: -

واشتكى خباب بن الأرت مايلقونه من أذى المشركين، فحثه على الصبر والثبات. فعنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد برده، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فشكونا ذلك إليه فقلنا: [يارسول الله] ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله. فقعد، وهو محمر وجهه (من الغضب)، فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحم، أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الامر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت مايخاف إلا الله، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون(١٥). وسأل عمر خبابا عما لقى من المشركين (مما جعله يشتكى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم)، فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهرى. فقال: ما رأيت كاليوم، قال: أوقدوا لى نارا وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك (دهن ودسم) ظهرى.

وابتلى المسلمون في مكة وزاد ابتلاؤهم وأخذت كل قبيلة أبناءها ومواليها بالعذاب حتى خرج أبو بكر مهاجرا إلى الحبشة فلقيه ابن الدغنة فسأله عن سبب خروجه فقال: أخرجنى قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، فأجاره من المشركين فرجع أبو بكر إلى مكة، فابتنى مسجدا بفناء داره، وبرز، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف (أي يتجمع) عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لايملك دمعه حين يقرأ القرآن. فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين وأرسلوا إلى ابن الدغنة. فطلب من أبي بكر إما أن يصلى في داخل البيت أو يرجع ذمة ابن الدغنة، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله(١٦).

---

(١٥) خ: ٣٦١٢ و٦٦٤٣.

(١٦) خ: ٢٢٩٧.

وفي السنة السابعة لمستهل المحرم منها: تعاهدت قريش على قطيعة بني هاشم إلى أن يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويبرأوا منه، وكتبوا بذلك بينهم صحيفة وعلقوها في الكعبة. فاعتزل بنو هاشم بن عبد مناف وتبعهم إخوانهم بنو المطلب ابن عبد مناف مع أبي طالب إلى شعب أبي طالب فأقاموا به ثلاث سنين وتضرروا بذلك جوعا وعطشا وعريا، إلى أن سعى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد في نقض الصحيفة فخرج بنو هاشم و بنو المطلب من الشعب في أواخر السنة التاسعة.

تفرق الأنصار كمقدمة للدعوة:-

وقبيل هجرته صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات، كان يوم بعاث وفيه اقتتل الأوس والخزرج، فقتل كثير ومنهم العديد من أكابرهم ممن يتكبر أن يدخل في الإسلام - لو بقوا أحياء. ومن القلة التي عاشت عبدالله بن أبي ابن سلول والذي كان من أكابر المنافقين. وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملأهم (أي كبار القوم) وقتلت سرواتهم (أي الشرفاء منهم) وجرحوا. فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الإسلام[١٧].

موت أبي طالب وخديجة:-

وفي السنة العاشرة من بعثته، مات أبو طالب في أواخر شعبان، ثم ماتت خديجة رضي الله عنها بعده بثلاثة أيام في رمضان، فحزن صلى الله عليه وسلم لموتهما حزنا شديدا، ونالت قريش منه صلى الله عليه وسلم ما لم تنله في حياة عمه أبي طالب.

---

(١٧) خ: ٣٧٧٧.

لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياعم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»[١٨]، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك». فأنزل الله عز وجل: ﴿**ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾[١٩]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**)[٢٠]. ولحمايته للرسول صلى الله عليه وسلم، خفف عنه عذاب النار. فعن عباس بن عبد المطلب قال: يارسول الله، هل نفعت أبا طالب في شيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[٢١].

أذى قريش للرسول صلى الله عليه وسلم:

وقد زادت أذية قريش له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب وخديجة. ومن أمثلة مانالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الأذى بعد وفاة أبي طالب، خنق عقبة بن أبي معيط له. فعن عروة بن الزبير قال: سألت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد ماصنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن

---

(١٨) خ: ٦٦٨١.

(١٩) سورة التوبة ٩ : ١١٣.

(٢٠) م: ٤/١. وخ: ١٣٦٠ والآيات من سورة القصص ٢٨ : ٥٦.

(٢١) خ: ٦٢٠٨.

أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: **(أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)**[٢٢].

وفي حادثة أخرى، آذاه أشقاهم، فنالهم من عقاب الدنيا بالقتل وعذاب الآخرة بالنار. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة و جمع من قريش في مجالسهم في المسجد إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور بني فلان فيجيء بسلاها[٢٣] فيضعه بين كتفيه إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم، (وفي رواية: أن عقبة بن أبي معيط أيضا فعل ذلك)، فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم دفعه على ظهره بين كتفيه فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها وهي يومئذ جويرية فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: اللهم عليك بقريش ثلاثا، ثم سمى رجالا. فشق عليهم إذ دعا عليهم وكانوا يرون أن الدعوة مستجابة في ذلك البلد. قال عبدالله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب[٢٤] (قليب بدر). وكان أبو جهل قد قال: لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو فعله لأخذته الملائكة[٢٥]، مصداقا لقوله تعالى **﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة فليدع نادية سندعو الزبانية﴾**[٢٦].

---

(٢٢) خ: ٣٦٧٨، والاية من سورة غافر ٢٨/٤٠.

(٢٣) هو الكيس الذي يكون فيه الولد في بطن الناقه ويسقط بعد ولادة الحوار.

(٢٤) خ: ٢٤٠، م: ١٧٩/٥.

(٢٥) خ: ٤٩٥٨.

(٢٦) سورة العلق ٩٦: ١٥-١٨.

الاجتهاد في الدعوة لغير قريش:-

وفي هذه السنة وهي العاشرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وأقام فيهم شهرا يدعوهم إلى الله وسألهم أن يمنعوه فردوا عليه قوله واستهزأوا به، فسألهم أن يكتموا أمرهم لئلا تشمت به قريش فلم يفعلوا، فلما انصرف عنهم أغروا به سفهاءهم يصيحون خلفه ويسبونه حتى اجتمعوا عليه وألجأوه إلى حائط واشتد كربه لذلك صلى الله عليه وسلم ودعا حينئذ بدعاء الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم[٢٧]. ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة (من) أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك[٢٨]. فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. وسلم عليّ (أي ملك الجبال)، ثم قال: يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[٢٩]. فقال صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لايشرك به شيئا[٣٠]. وكان هذا الموقف من أشد المواقف عليه صلى الله عليه وسلم كما روت عائشة رضي الله عنها. قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتي عليك يوم كان

---

(٢٧) م: ٨٥/٨.

(٢٨) سيرة ابن هشام: ٤٢/١.، كما رواه الطبراني برجال ثقات عن عبدالله بن جعفر وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة.

(٢٩) هما جبلا مكه، أبو قبيس والجبل الذى يقابله.

(٣٠) م: ١٨٥/١.

أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك مالقيت، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت. فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٣١] فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليكم، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

وكان الصحابة في مكة مع عمق إيمانهم وشدة يقينهم وما أصابهم من الابتلاء، قد عاتبهم مولاهم على قسوة قلوبهم. فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: ماكان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله عز وجل بهذه الآية: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** إلا أربع سنين[٣٢].

إيمان الأنصار وبيعتهم:-

وفي السنة الحادية عشرة اجتهد صلى الله عليه وسلم في عرض نفسه على القبائل في الموسم، فآمن به ستة من رؤساء الأنصار، ورجعوا إلى المدينة ففشا فيها الإسلام. وكانت قريش قد بالغت في تنفير الحجيج والقادمين إلى مكة من الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى قال صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي، فجاء أحد الأنصار وقال: آتي قومي فأخبرهم ثم آتيك في العام المقبل، قال: نعم، فانطلق الرجل، وجاء وفد الأنصار في رجب[٣٣]. وكانت قريش ترصد الحجيج وتنفرهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، فيوصي كل حاج الآخر بقوله: احذر غلام قريش لا يفتنك، وهم يشيرون إليه صلى الله عليه وسلم بالأصابع.

(٣١) موضع بين مكة والطائف وهو ميقات أهل نجد.
(٣٢) م: ٢٤٣/٨.
(٣٣) الترمذي: ٢٩٢٦ وأخرجه الأمام أحمد وأصحاب السنن والحاكم.

وفتر الوحى (أي انقطع) عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فتكلمت امرأة أبي لهب وقالت: أبطا عليه شيطانه، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿**والضحى والليل إذا سجى ماودعك ربك وما قلى**﴾[٣٤] (أي إن الله ما أهملك أو تركك بعد أن اصطفاك).

الإسراء والمعراج:-

وأسرى به صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية عشرة على أرجح الآراء[٣٥] في شهر ربيع الأول. وتأتي حادثة الإسراء بعد وفاة أبي طالب وخديجة واشتداد أذى قريش وتكذيب أهل الطائف، فكانت بردا وسلاما على قلبه السليم. وفي ليلة الإسراء والمعراج فرضت الصلاة. فعن أبي ذر وأنس بن مالك رضي الله عنهما أنهما قالا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدرى ثم أطبقه. ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة [أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك]. ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معى محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: أرسل إليه؟ (أي صار نبيا) قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة (أي أشخاص) وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا

(٣٤) خ: ١١٢٥ وسورة الضحى: ٣-٤.

(٣٥) القسطلاني: ٢٧٤/١ وابن الاثير: ٤٨٠/١ وقيل غير ذلك قبل أو بعد. أنظر المباركفورى: ١٢٤.

بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه (أي أرواح الناس)، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال ففتح لنا. فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا بي ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، فإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: فرحب بي، ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿**ورفعناه مكانا عليا**﴾. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى».

وقال أنس: ثم عرج بي (أي الرسول صلى الله عليه وسلم) حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام (ماتكتبه الملائكة من قضاء الله تعالى). قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: مافرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعني فوضع شطرها. فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك، فان أمتك لا تطيق. فراجعت، فوضع شطرها. فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون (خمس في العدد وخمسون في الأجر)، لا يبدل القول لَدَيّ. فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي [فنودي: إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا]. ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل (أي قباب) اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[٣٦].

فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بالإسراء، كذبوه فنام في الحِجر، ويقول في ذلك صلى الله عليه وسلم: «فجلى الله لي بيت المقدس (كشف الحجاب حتى رآه) فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[٣٧] وكانوا لا يسألونه عن شيء إلا أنبأهم به حتى سألوه عن إبل في مكان معين فأخبرهم إنهم أضلوا بعيرا وهم في طلبه[٣٨].

بيعة النساء:-

وفي آخر تلك السنة في الموسم، وافاه اثنا عشر رجلا من الأنصار بالعقبة ليلا، فبايعوه بيعة النساء المذكورة في قوله تعالى: **﴿على أن لايشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين﴾**.[٣٩] وبعث معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن. فأسلم على يديه السعدان سعد بن معاذ، سيد الأوس و سعد بن عبادة، سيد الخزرج، فأسلم لإسلامهما كثير من قومهما.

(٣٦) خ: ٣٤٩ و ٣٨٨٧، م: ١/٩٩-١٠١.
(٣٧) خ: ٣٨٨٦.
(٣٨) فتح الباري: ٧/٢٠٠.
(٣٩) الممتحنه ٦٠:١٢.

البيعة الكبرى :-

وفي السنة الثالثة عشرة من التكليف بالرسالة، في آخرها، في الموسم، وافاه سبعون رجلا من مسلمي الأنصار فبايعوه عند العقبة أيضا على أن يمنعوه إن هاجر إليهم مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأخرجوا له اثنى عشر نقيبا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى المدينة.

وكان حجاج الأنصار من المسلمين قد خرجوا مع قومهم المشركين في تلك السنة، وقدموا مكة، ثم قاموا بمواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة من أوسط ليالي التشريق، فلما كان ليلة الميعاد باتوا مع قومهم فلما مضى ثلث من الليل خرجوا مستخفين، فلما اجتمعوا بالشعب عند العقبة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو يومئذ باق على دينه، لكن أراد أن يتوثق لابن أخيه، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أنا معكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فقالوا: نعم. فقال لهم: أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم فأخرجوهم، وهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا الكفيل على قومي، قالوا: نعم فبايعوه، ووعدهم على الوفاء الجنة، وجملتهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان»[٤٠].

توكيد البيعة :-

فقام أسعد بن زرارة وهو من أصغر القوم إذاك فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة (أي جزع وخوف) فبينوا ذلك فهو

(٤٠) سيرة ابن هشام: ١-٢ /٤٢٢-٤٤٧.

أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله ماندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها. فقاموا إليه فبايعوه وأخذ عليهم وشرط ويعطيهم الجنة(٤١). ثم قال أبو الهيثم بن التيهان: يارسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فقال رسول الله: بل الدمَ الدمَ والهدمَ الهدمَ (أي الحرمة)، إنا منكم وأنتم منى، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم(٤٢).

ولما تمت البيعة صاح إبليس - لعنه الله - صيحة عظيمة منكرة مشبها صوته بصوت منبه بن الحجاج السهمي: يا أهل منى هذا محمد، وأهل يثرب قد اجتمعوا لحربكم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك! ثم تفرقوا. فلما أصبحوا غدت عليهم رؤساء قريش وقالوا: يامعشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه، منكم. فحلف مشركو الأنصار ماكان من هذا ولا علمناه، وصدقوهم بأنهم لم يعلموه، فلما نفر الناس من منى فتشت قريش عن الخبر فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم ففاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة فرجعوا به أسيراً يضربونه فاستنقذه منهم مطعم بن عدى و الحارث بن حرب بن أمية لصنائع كانت لسعد في رقابهما، وخوفوا قريشا من تعرض الأنصار لهم عن طريق الشام(٤٣).

---

(٤١) أخرجه الامام أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبى.
(٤٢) أخرجه الامام أحمد وقال ابن حجر وسنده صحيح أنظر فتح البارى: ٨ /٢٢٠.
(٤٣) سيرة ابن هشام: ٤٤٧/١.

الفصل الرابع:

الهجرة والدولة

أمر النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ أصحابه بالهجرة إلى المدينة وهاجروا إليها، وأقام صلى الله عليه وسلم ينتظر الإذن في الهجرة. وحبس معه أبا بكر وعليا رضي الله عنهما.

اجتمعت قريش في دار الندوة للمشاورة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فأجمعوا على قتله، فنزل جبريل عليه السلام بالوحي من عند الله، فأخبره بذلك. وأمره بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها، وذلك في أواخر صفر من السنة الرابعة عشرة من مبعثه.

الهجرة:

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد بدأ يجهز للهجرة إلى المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: على رسلك (أي تمهل) فإني أرجو أن يؤذن لي، فعلف أبو بكر راحلتين كانتا عنده، وورق السمر (نوع من الشجر).

وفي بيانها لاستعدادات حادثة الهجرة قالت عائشة رضي الله عنها: بينما نحن جلوس في حر الظهيرة إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فلما رآه أبي قال: ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة التى لم يكن يأتينا فيها إلا لأمر قد حدث، فلما دخل صلى الله عليه وسلم قال له: أخرج من عندك. قال: فإنما هم أهلك. قال: فإني قد أذن لي في الخروج، وواعده وقت السحر، وأمره بالتجهيز. قالت عائشة: فجهزناهما بأحب الجهاز، واستأجر رجلا دليلًا ماهراً، قد دفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور ثلاث ليال، ثم لحقا بالغار فمكثا فيه ثلاثا، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو يومئذ غلام فطن، ويدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت [فيها]، فلا يسمع أمراً

يُكادان به إلا وعاه وأتاهما بذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منايح من غنم، فيريحها عليهما (أي يأتيهما بها) عشيا، ويعنق بها من عندهم (أي يُسْرِع).

وقد أمر صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه بالنوم على فراشه فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وبيده حفنة من التراب وهو يتلو **﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾**[1]، فأعمى الله أبصارهم ثم نظروا في الفراش فوجدوا عليا، فبقوا متحيرين وشدوا في طلبه وجعلوا دية لكل واحد منهما ومروا على غارهما، فأعمى الله أبصارهم عنهما.

وفي غار ثور، وضح رسوخ إيمانه صلى الله عليه وسلم وعمق شعوره بمعية الله. فعن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه فقال: يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما[2]. وفي ذلك يقول الله تعالى **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**[3]. وبعد ثلاث ليال جاءهم الدليل بالراحلتين فارتحلوا، وأردف النبي صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة ليخدمهما فأخذهما الدليل عن طريق الساحل.

ويذكر قصة الهجرة أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيقول: ارتحلنا من مكة فأحيينا أو أسرينا ليلتنا كلها. حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق فلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا، ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها، ثم بسطت عليه فروة. ثم قلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض

---

(١) سيرة ابن هشام : ٤٨٢/١-٤٨٣ والايات من سورة يس ٣٦ : ٩.
(٢) خ : ٣٩٢٢ و م : ١٠٨/٧.
(٣) سورة التوبة : ٤٠/٩.

(أنظر) لك ماحولك، فنام، وخرجت أنفض ماحوله، فإذا أنا براعي غنم مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت ياغلام فقال: لرجل من أهل المدينة (يعني مكة) قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. قلت: أفتحلب لي؟ قال: نعم فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى، فحلب لي، في قعب معه (أي: قدح من خشب مقعر) كثبة من لبن (أي مقدار حلبة من لبن). قال: ومعي إداوة أرتوى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم، ليشرب منها ويتوضأ. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم. وكرهت أن أوقظه من نومه، فوقفت حتى استيقظ. وفي رواية: فوافقته حين استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله. فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن. قال فشرب حتى رضيت. ثم قال: ألم يأن للرحيل؟ قلت: بلى، قال: فارتحلنا والطلب في أثرنا[٤] (بعد مازالت الشمس). واتبعنا سراقة بن مالك قال: ونحن في جلد من الأرض (أي: موضع صلب). فقلت: يا رسول الله أتينا. فقال: **(لا تحزن إن الله معنا)** فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه إلى بطنها، أرى (أي غاصت قوائمها في الأرض). فقال (سراقة): إني قد علمت أنكما قد دعوتما علي فادعوا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم الله فنجا، فرجع لا يلقى أحدا إلا قال: كفيتكم ما ههنا. فلا يلقى أحدا إلا رده، قال: ووفى لنا[٥]. وفي ذلك يقول سراقه: فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعه من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦].

كما قدم على أم معبد في خيمتها ولمس ضرع شاة عندها تخلفت عن غنمها لهُزلها وذكر اسم الله عليها، فانتفخ ضرعها، فحلبوا منها في إناء يكفى الجماعة[٧].

(٤) خ: ٣٩١٧.
(٥) م: ٨/٢٣٦-٢٣٧.
(٦) خ: ٣٩٠٦.
(٧) قال الهيثمي في الزوائد ٨/٣١٣ عن حديث شاة أم معبد، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه وكلاهما ثقة (صفة الصفوة: ٣٨). ويروى إن هذه الشاة بقيت عند أم معبد حتى كان زمان الرمادة فهلكت في سنة ثمان عشرة من الهجرة.

قدوم المدينة وبناء المسجد:-

ودخل صلى الله عليه وسلم عوالي المدينة يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول. فلبث بقباء عند بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة وأقام أول جمعة في الإسلام. وبنى فيها مسجد قباء ثم انتقل فنزل في بني النجار، أخوال جده عبد المطلب في منزل أبي أيوب الأنصارى شهرا، إلى أن بنى مسجده الشريف ومساكنه.

وقد أضاءت المدينة بالنور الكريم لمقدمه صلى الله عليه وسلم كما قال أنس رضي الله عنه، قال: «فما رأيت يوماً قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر المدينة، وشهدت وفاته فما رأيت يوماً قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٨).

فعن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل في أعلى المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ من بني النجار، لما أمر ببناء المسجد، فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا (أي بيعوه لي بثمن)، فقالوا: لا، والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله. فأبي أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا وكان فيه قبور المشركين، وفيه خرب، وفيه نخل، فأمر النبي بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه(٩) الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي صلى الله عليه وسلم معهم، وهو

(٨) أخرجه الأمام أحمد في المسند: ٣/ ١٢٢ وإسناده صحيح.

(٩) العضادة هى الخشبة التى على كتف الباب ولكل باب عضادتان، وأعضاد كل شيء مايشد جوانبه (فتح البارى ٧/٢٦٦).

يقول: اللهم إنه لاخير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة[١٠]. وكان يؤم المسجد القادرون من الرجال والضعفة من النساء والأولاد، ويدل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمة بأمه. فعن أبى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنى لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[١١]. وكان صلى الله عليه وسلم «أخف الناس صلاة على الناس، وأطول الناس صلاة لنفسه»[١٢].

المؤاخاة:-

ثم قام صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلا. وكان عقد الأخوة قائما على أساس أن يورث بعضهم بعضا حال الشدة ويتوارثون بعد الموت. وقد بطل التوارث بنزول قوله تعالى **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** بينما استمرت حقوق الأخوة وواجباتها. وقد آخى صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع الذى عرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فشكره عبد الرحمن وقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك دلنى على السوق حتى أتجر فيه[١٣].

القائم على خدمته:-

وبعد أن استقر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، أحضر له أبو طلحة أنساً (ابن مالك)، ليخدمه صلى الله عليه وسلم. عن أنس قال: " لما قدم رسول الله صلى الله

(١٠) خ: ٣٩٣٢و م: ٢/٦٥. وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين بينما الناس يحملون لبنة لبنة، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم، فنفض عنه التراب وقال: «ويح عمار تقتله الفئة الباغيه، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار» (خ: ٢٨١٢).

(١١) خ: ٧٠٧.

(١٢) حديث صحيح من ص ج ص: ٤٥١٢.

(١٣) خ: ٣٩٣٧.

عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك، قال فخدمته في الحضر والسفر، فوالله ماقال لى لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا. وفي حديث آخر يقول «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لى أف، ولا: لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟»[١٤] ويقول ابن التين: كما صفح صلى الله عليه وسلم فيما فعله ناقصا عن إرادته، صفح عنه فيما لم يفعله خشية وقوع الخطأ منه، ولو فعله ناقصا عن إرادته لصفح عنه[١٥].

وفي تلك السنة، وهي الأولى من سني الهجرة شرع الأذان بناء على رؤيا من عبدالله بن زيد وعمر بن الخطاب. وكان يلى الأذان بلال بن رباح وابن أم مكتوم[١٦]. وقد توقف بلال عن الأذان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة له صلى الله عليه وسلم. ومما يدل على محبة الصحابة رضي الله عنهم للرسول صلى الله عليه وسلم، بكاؤهم عند تذكر أيامهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أمر عمر بن الخطاب بلالا بالأذان[١٧].

إبطاء استجابة قريش[١٨]:-

وأبطأت قريش في إسلامها وأزدادت أذيتها للمسلمين، فدعا عليهم صلى الله

---

(١٤) خ: ٦٩١١ و ٦٠٣٨.

(١٥) فتح البارى: ٢٥٤/١٢.

(١٦) م: ١٢٩/٣.

(١٧) عند قفول عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام إلى المدينة، عام ١٧ هـ خطب حيث أرد القفول ثم حضرت الصلاة وقال الناس: لو أمرت بلالا فأذن، فأمره فأذن، فما بقى أحد كان أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكره صلى الله عليه وسلم (تاريخ الطبرى: ٦٦/٤). ولما احتضر بلال رضي الله عنه، نادته امرأته: واحزناه فقال: واطرباه، غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه (القاضى عياض: ٥٣/٢).

(١٨) قد قيل إنه دعا عليهم في مكة بعد القاء سلا الجزور عليه وقيل إنه دعا عليهم في المدينة (فتح البارى: ٥١٠/٢-٥١٢، القسطلاني: ٢٧٤/٤-٢٧٥).

عليه وسلم ثم دعا لهم برفع العذاب رحمة بهم. فعن ابن مسعود قال «إن قريشا أبطأوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام»[١٩]. فجاءه أبو سفيان فقال: يامحمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك هلكوا، فادع الله. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث، فأطبقت عليهم سبعا. وشكا الناس كثرة المطر فقال: اللهم حوالينا ولا علينا. فانحدرت السحابة عن رأسه، فسقوا الناس حولهم»[٢٠]. فانظر إلى شدة رحمته صلى الله عليه وسلم بقومه وأرحامه.

وفي رواية أخرى أن قريشا لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم واستعصوا عليه قال: اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى مابينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، **﴿قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾**، فقيل له (أي للرسول صلى الله عليه وسلم): إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه، فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فنزل قوله تعالى **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب أليم، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون، إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون، يوم نبطش البطشة الكبرى، إنا منتقمون﴾**[٢١]. وكان أبو سفيان قد أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أي محمد، إن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم فدعا.

وفي أول السنة الثانية، أو أواخر الأولى نزل قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾**[٢٢]. فأذن للمسلمين بالقتال وذلك عندما رمتهم العرب واليهود عن قوس

---

(١٩) ٨/١٣٠-١٣١.

(٢٠) خ: ١٠٢٠.

(٢١) خ: ٤٨٢٣ و ٤٨٢٤ والايات من سورة الدخان ٤٤ : ١٠-١٦.

(٢٢) سورة الصف ٦١ :١٠.

واحدة وأظهروا العداوة والبغضاء فنزلت آية ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾[٢٣]. وكان المسلمون قد أذن لهم بالقتال ولم يفرض عليهم ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم لقوله تعالى ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم**﴾، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة[٢٤].

وفي السنة الثانية، في رجب، نزل قوله تعالى: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ فحولت القبلة إلى الكعبة بعد أن صلى إلى بيت المقدس نحو ستة عشر شهرا. فعن البراء قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها**﴾ فوجه وجهه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصرثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال وهو يشهد أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد وجه وجهه إلى الكعبة فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر»[٢٥].

ترقيقه لقلوب الصحابة: -

كما كان صلى الله عليه وسلم يتخللهم بالموعظة ويرقق قلوبهم بذكر الله وعذابه ونعيمه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه - وإنه ليسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم. فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر فيقال له: ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدرى، كنت أقول مايقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تَلَيت (أي لا فهمت ولا تلوت القرآن) ويضرب بمطارق من

(٢٣) سورة الحج ٢٢ : ٣٩.
(٢٤) زاد المعاد : ٥٨/٢ والايات من سورة البقرة ٢ : ١٩٠.
(٢٥) خ : ٧٢٥٢ والآيات من البقرة ٢ : ١٤٣-١٤٤.

حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»[٢٦]. وقام الرسول صلى الله عليه وسلم (مرة) خطيبا، فذكر فتنة القبر التى يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لهم: قد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال[٢٧].

وفي شعبان منها نزل قوله تعالى: ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**﴾ الآيات ففرض صوم رمضان، وفرض فيه صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر.

وقعة بدر الكبرى: -

وفي السنة الثانية وفي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان كانت وقعة بدر الكبرى وهي (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) ونزلت سورة الأنفال في قسمة غنائمها. وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب في عير لقريش أقبلت من الشام فجعل العيون عليها، فلما جاءه عينه خرج بمن خف معه من المسلمين، ولم يكن يظن أنه يلقى عدوا، وكان أبو سفيان يتجسس الأخبار خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه الخبر بمخرجه، فبعث إلى قريش يستفزهم، فأوعبت (أي خرجت عن بكرة أبيها) قريش في الخروج وخرجت سائر بطونها، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق بلغه نفير قريش (أي خروجها) فاستشار أصحابه في طلب العير، أو قتال النفير، وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين، وكانت العير أحب إليهم كما قال الله تعالى: ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين**﴾[٢٨]. فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، فتكلم عمر فأعرض عنه، وهو في كل ذلك يقول: أشيروا علي أيها الناس، فعلموا أنه إنما يريد الأنصار لأنهم لم تكن مبايعتهم على القتال،

---

(٢٦) خ: ١٣٧٤.
(٢٧) خ: ١٣٧٣.
(٢٨) سورة الانفال: ٧/٨.

إنما بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، ممن دهمه إلى المدينة. ولكن كان الإيمان قد تمكن في قلوبهم، واعتقدوا وجوب طاعته ونصرته صلى الله عليه وسلم حتى لو أمرهم بقتل آبائهم لامتثلوا أمره. فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: إيانا تريد يا رسول الله. قال: نعم. قال: والذى بعثك بالحق لو أمرتنا أن نضرب أكبادها (أي الإبل) إلى برك الغماد[29] لفعلنا، ولو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها[30]. كما قال المقداد بن الأسود للرسول صلى الله عليه وسلم: لا نقول كما قال قوم موسى **(فاذهب أنت وربك فقاتلا)**، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فسر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأشرق وجهه من قوله[31] ثم قال: سيروا على بركة الله، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم. وساروا حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم على أدنى ماء من مياه بدر إلى عسكره، فأشير عليه أن ينزل على أدنى ماء إلى العدو، ويترك المياه كلها خلفه، ففعل، وبني له عريش ليستظل فيه. وكان عدد الصحابة في غزوة بدر، «عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة»[32].

استغاثته بربه: -

ولما أقبلت قريش قال النبي - صلى الله عليه وسلم: - اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك. اللهم أنجز لي ماوعدتني، اللهم آتنى ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (يعني المسلمين) لا تعبد في الأرض، وما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر

---

(٢٩) مكان بعيد في أقاصى أرض هجر وقيل موضع وراء مكة بخمس ليال جهة البحر.

(٣٠) م: ٥/١٧٠.

(٣١) خ: ٣٩٥٢ والايات من سورة المائدة ٥: ٢٤ وتكملتها **(فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)**، كما سر صلى الله عليه لقول سعد بن معاذ: يارسول الله والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك (الذهبى: ٢/ ٥٢).

(٣٢) خ: ٣٩٩٨.

فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل (**إذ تستغيثون ربكم، فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**)[٣٣]. وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول (اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد)، فلما طلع الفجر نادى للصلاة، فصلى بهم صلى الله عليه وسلم[٣٤] فخرج - صلى الله عليه وسلم وعليه الدرع، وهو يقول: (**سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**)[٣٥] ثم أخذ صلى الله عليه وسلم يعدل صفوفهم، وأمرهم أن لا يحملوا حتى يأمرهم، ثم رجع إلى العريش ومعه أبو بكر رضي الله عنه فخفق خفقة (أي نام) وهو بالعريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع[٣٦] وفي رواية البخاري إنه قال صلى الله عليه وسلم «هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»[٣٧].

ثم خرج إلى صف أصحابه، فلما تزاحف الناس أخذ حفنة من الحصباء ورمى بها في وجوه المشركين، وقال لأصحابه: شدوا باسم الله وكانت الهزيمة فيهم بإذن الله، ونصر الله عبده، وأعز جنده وأمده الله بالملائكة تصديقا لوعده (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين**). وفي ذلك يروى ابن عباس «بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة السوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم (حيزوم اسم فَرَس الملك) فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه (هناك أثر على أنفه) وشق وجهه كضربة السوط فحدثوا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: صدقت ذلك من مدد السماءالثالثة»[٣٨] أي من ملائكة

(٣٣) م: ٥/١٥٦-١٥٧ والايات من سورة الانفال ٨ : ٩.

(٣٤) أخرجه أحمد في المسند: ١/١١٧ وأبو داوود: ٢٦١٥ وإسناده صحيح.

(٣٥) خ: ٣٩٥٣ والآيات من سورة القمر: ٥٤ : ٤٥.

(٣٦) البداية والنهاية: ٣/٢٧٥-٢٧٦.

(٣٧) خ: ٣٩٩٥.

(٣٨) م: ١٢/٨٥- ٨٦.

السماء الثالثة. ونكص الشيطان على عقبيه وقد تمثل في شكل سراقة بن مالك، فولى مدبرا فقال له رجل: ياسراقة أما زعمت أنك جار لنا من الناس (أي تحمينا منهم)، فنزلت الآية الكريمة (**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إن أخاف الله والله شديد العقاب**) [٣٩].

وكان هذا النصر رحمة منه سبحانه وتعالى وتفضلا على عباده المؤمنين كما قال تعالى ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة، فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم. ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين**﴾[٤٠].

بعض شهداء بدر: -

وأكرم الله عز وجل العديد من المسلمين بالشهادة والجنان ومنهم عمير بن الحمام رضي الله عنه. فعندما دنا المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، قال عمير بن الحمام الأنصارى رضي الله عنه: يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال: بخ بخ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مايحملك على قول بخ بخ؟ قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: فإنك من أهلها فأخرج (أي عمير) تمرات من قرنه (أي جعبة الأسهم) فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[٤١].

(٣٩) الانفال ٨ : ٤٨.
(٤٠) ال عمران ٣ : ١٢٣-١٢٧.
(٤١) م : ٤٤/٦.

ومنهم كذلك حارثة بن سراقة - رضي الله عنه -. فعن أنس - رضي الله عنه - أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة وكان قتل يوم بدر قالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يك في الجنة أجدّ وأحتسب [وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء] فقال: ويحك، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى(٤٢).

وممن استشهد من صغار الشباب، عمير بن أبى وقاص، الذى كان يتوارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يرده عن القتال لصغر سنه. وعندما سأله أخوه سعد بن أبي وقاص، قال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة. فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستصغره وقال: ارجع، فبكى عمير فأجازه صلى الله عليه وسلم. قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة(٤٣).

هلاك من آذاه: -

ومن فضل الله، أن هلك معظم من كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم مع انتصاره في غزوة بدر. وهو مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله ليملى للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته. قال: ثم قرأ ﴿**وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد**﴾(٤٤). وكان صلى الله عليه وسلم قد أخبر أصحابه بمن يقتل في بدر من رجال قريش حتى إن سعد بن معاذ وكان صديقا لأمية بن خلف، أخبره عندما كان يعتمر في مكة إنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم قاتلوه، ففزع أمية فزعا شديدا وحلف ألا يخرج من مكة، وأخذته الحمية في بدر فخرج معهم حتى قتل فيها(٤٥). كما مات أبو لهب بمرض

(٤٢) خ :٦٥٥٠، ٢٨٠٩.
(٤٣) ابن سعد : ١٥٠/٣.
(٤٤) خ : ٤٦٨٦ والايات من سورة هود ١١ : ١٠٢.
(٤٥) بتصرف من خ : ٣٩٥٠.

العدسة وهو عبارة عن بثرة تنتشر في الجسم. وترك أبو لهب في العراء حتى انتن ثم وضع عليه الحجارة وكانت قريش تكره العدسة مخافة العدوى[٤٦]. ومنهم الأسود بن عبد يغوث أصابه السموم (أي الهواء الحار) فسود وجهه ومات عطشا. ومنهم الحارث بن قيس بن عدي والذي نزل فيه (**أرأيت من اتخذ إلهه هواه**)، امتلأ رأسه قيحا حتى مات. ومنهم الوليد بن المغيرة الذى أنزلت فيه ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**﴾، وطئ على سهم، فانتقض جرحه ومات. ومنهم العاصى بن وائل السهمي الذى نزل فيه قوله تعالى ﴿ **إن شانئك هو الأبتر**﴾، لدغ في رجله وانتفخت عنقه فهلك. ومنهم النضر بن الحارث ونزلت فيه ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾ أسر يوم بدر وضربت عنقه. ومنهم أبو جهل وقتل يوم بدر. ومنهم عقبة بن أبي المعيط، كان يعمد إلى الأوساخ فيلقيها على بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وأسر ببدر وضربت عنقه. ومنهم الأسود بن المطلب، وكان يسخر من الرسول صلى الله عليه وسلم فدعا عليه بالعمى وأن يثكل أولاده، فحك عينيه بورقة شجرة حتى عمى وقتل أبناؤه وأبناء أبنائه[٤٧]. وكان هلاك هؤلاء وأذاهم في الدنيا والآخرة بالقتل أو الأسر أو الجرح لمعاداتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى ﴿**ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**﴾[٤٨]. كما أنه يصدق قوله سبحانه وتعالى ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾[٤٩]. وأسر زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي العاص بن الربيع، فأرسلت زينت مالا وقلادة لخديجة رضي الله عنها - كانت قد أعطتها لزينب عند زواجها، فلما رآها صلى الله عليه وسلم: رق لها، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها. قالوا: نعم يارسول الله وأطلقوه، على أن يسمح لزينب بالهجرة[٥٠]. وقد أسلم أبو العاص في السنة السادسة وكان رجلا مأمونا رد أموال قريش ثم أعلن إسلامه.

---

(٤٦) الذهبي: ٢/٦٦.

(٤٧) ابن الاثير: ١/٤٩٣-٤٩٥.

(٤٨) سورة الانفال ٨ :١٣.

(٤٩) سورة الحجر ١٥ : ٩٥.

(٥٠) أخرجه أحمد في المسند: ٦/٣٧٦ وأبو داوود: ٢٦٩٢ وإسناده صحيح كما ذكره الذهبي: ٢/٧٠.

قتل صناديد قريش ومحادثته لهم :-

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في بئر من آبار بدر ثم أقام ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث شد رحله ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا: ما ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركى (أي طرف البئر)، فجعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم: يافلان ابن فلان، ويافلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا. فقال عمر: يارسول الله، ماتكلم من أجساد لا أرواح لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ثم قرأ **﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾**[٥١]. يقول عروة أحد رواة الحديث: حين تبوأوا مقاعدهم من النار. وقال قتادة أحد رواة الحديث: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخا وتصغيرا ونقيمة وحسرة وندما[٥٢].

وفاؤه صلى الله عليه وسلم :-

وكان صلى الله عليه وسلم عندما استعرض أسارى بدر، قال: «لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[٥٣]. وكان المطعم بن عدى قد أجار الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عاد من رحلته المضنية إلى الطائف. وكان المطعم بن عدى، قد لبس السلاح هو وابناؤه وحموا الرسول صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك قريشا قالوا: أنت الرجل الذى لا تخفر ذمتك، كما كان من أشد الناس سعيا في نقض الصحيفة الجائرة التى كتبتها قريش لمحاصرة المسلمين وبنو طالب في الشعاب[٥٤].

---

(٥١) خ: ٣٩٧٦ و ٣٩٧١ والآيات من سورة فاطر ٣٥: ٢٢.
(٥٢) فتح البارى : ٣٠١/٧.
(٥٣) خ : ٤٠٢٤.
(٥٤) فتح البارى : ٣٢٤/٧.

وبعد بدر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف الطائي، وهو في حصن من يثرب، فقتله خمسة من الأوس عليهم محمد بن مسلمة[٥٥]. وكان كعب قد آذى الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجاء كما آذى نساء المسلمين، فأهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه.

ثم أمر بقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق وهو في حصن بخيبر، فقتله سبعة من الخزرج، عليهم عبدالله بن عتيك[٥٦].

حبه ورعايته لزوج ابنته :-

وفي أواخر السنة الثانية[٥٧]، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه على بن أبي طالب، ابنته فاطمة بدرع عنده، كما زوج عثمان بن عفان، ابنته أم كلثوم. وكان صلى الله عليه وسلم يحب أصهاره ويهتم بهم وجاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت ابنته فلم يجد صهره، فسعى إلى مرضاته. فعن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى بيت فاطمة عليها السلام، فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بينى وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقِل عندى (أي لم ينم الظهر عندي). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: انظر أين هو ؟ فجاء فقال: يارسول الله، هو في المسجد راقد. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه وهو يقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب[٥٨]. وفى الحديث إنه يقع بين أهل الفضل مايقع بين عامة الناس وخروج على كرم الله وجهه، هو مخافة أن يبدر منه مالا يليق بمقام فاطمة رضي الله عنهما جميعا، فخرج إلى المسجد حتى

---

(٥٥) خ : ٤٠٣٧ و م : ٥/١٨٤-١٨٥.
(٥٦) خ : ٣٠٢٢.
(٥٧) ابن كثير: ٢/٥٤٥.
(٥٨) خ : ٦١٨٠ وكان اسم أبو تراب من أحب الاسماء إليه وكان يفرح - كرم الله وجهه - إذا دعى بهذا الأسم.

تهدأ نفوسهما. وكان من كرم خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، إنه يتوجه إلى صهره ليترضاه ويداعبه ويتبسط إليه. وقد ترك صلى الله عليه وسلم معاتبته لعلى مع عظم منزلة ابنته عنده، إبقاء للمودة وحفظا للقرابة.

وفي السنة الثالثة، نقضت يهود المدينة - بنو قينقاع رهط عبدالله بن سلام الحبر الإسرائيلي - العهد، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه، فاستوهبهم منه عبدالله بن أبي ابن سلول، وكانوا حلفاءه، فوهبهم له.

حسن قضاء الدين:-

وجاء زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه، فجبذ ثوبه (صلى الله عليه وسلم) عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يابنى عبد المطلب مُطل (أي لا تسددون ماعليكم من دين)، فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وهو، كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر. تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى» ثم قال: لقد بقى من أجله ثلاث (أي الدين ولذلك لم يسدده صلى الله عليه وسلم). وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه[٥٩]. وجاء إليه رجل يتقاضاه (أي يطالبه بدين)، فاغلظ على الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا»، وأعطاه بعيرا أفضل مما أخذ منه فقال الرجل: أوفيتنى أوفاك الله وقال: إن خياركم أحسنكم قضاء[٦٠].

(٥٩) حديث طويل رواه البيهقي ووصله ابن حبان وقال السيوطى سنده صحيح. وزيد هو أحد أحبار اليهود وأغنياؤهم، أسلم وحسن إسلامه وشهد المشاهد كلها وتوفى عند مرجع الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوك. ولما أراد الله هدايته، نظر في وجه النبى صلى الله عليه وسلم فرأي جميع علامات النبوة الا أمرين لم يخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما، ولعل هذه الحادثة إبلغ شيء في بيان ذلك (الذهبي: ٢/ ٦٦٣).

(٦٠) خ: ٢٣٠٥ و ٢٣٠٦ و ٢٣٩٢.

أول من توفى من المهاجرين :-

وتوفى عثمان بن مظعون في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، فشهدت له امرأة من الأنصار بالكرامة فنبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدم الجزم بذلك. فعن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى (أي وقع في ضيافتنا) حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين، فاشتكى، فمرضناه حتى توفي، ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. قال: وما يدريك ؟ قلت: لا أدرى والله. قال: أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري - وأنا رسول الله - مايفعل بي ولا بكم. قالت أم العلاء: فوالله لا أزكي أحداً بعده. قالت: ورأيت لعثمان في النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: «ذاك عمله يجرى له»[٦١]. وكان صلى الله عليه وسلم قد دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت فسالت دموعه على خده[٦٢] وعلى جسد عثمان وقبل خده وسماه السلف الصالح.

موقعة أحد:-

وفي السنة الثالثة في شوال، في اليوم الخامس عشر منه كانت وقعة أحد فأكرم الله فيها من أكرم بالشهادة، ومنهم: مصعب بن عمير رضي الله عنه وحمزة رضي الله عنه. وسببها أن قريشاً قد خرجت مع جمع من العرب ونزلوا قريبا من بطن أحد. فلما علم بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استشار أصحابه في الخروج

---

(٦١) خ : ٧٠١٨. وعثمان بن مظعون رضي الله عنه، من المسلمين الأوائل وهو من الذين حرموا شرب الخمر في الجاهلية وكان شديد العبادة، فنهاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرهبانية. وكان صلى الله عليه وسلم قد رد على عثمان بن مظعون التبتل (م : ٤/١٢٩).

(٦٢) الحديث صحيح أخرجه ابن ماجه : ١٤٥٦ والترمذى : ٩٨٩ وأبو داود : ٦٣ (نقلا من صفة الصفوة : ٤٥٣).

إليهم، أو الإقامة، وقال لهم: إني رأيت في منامي كأن في سيفي ثلمة، وأن بقرا تذبح[٦٣]. وتأولتها أن نفرا من أصحابي يقتلون، وأن رجلا من أهل بيتي يصاب، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فان أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوها قاتلناهم فيها، فاختلفت آراؤهم في ذلك حتى غلب رأي من أحب الخروج. وكان من لم يشهد بدرا حصل معهم الأسف على مافاتهم من الفضيلة. فدخل صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته وخرج عليهم فوجدهم قد رجحوا رأي القعود. فقال: لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل[٦٤]، فسار بهم، وكانوا نحو الألف ليس بينهم فارس ثم انفرد عبدالله بن أبى بثلث الناس فبقى نحو سبعمائة راجل.

فنزل صلى الله عليه وسلم وجعل ظهره إلى أحد ورتب أصحابه كما قال الله تعالى: **﴿وإذ غدوت من أهلك﴾** وكان قد غدا من منزل عائشة **(تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال)**[٦٥]. وأقعد الرماة وهم خمسون على جبل عنين، وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم إن غلبنا أو غلبنا. ويحدثنا عن ذلك البراء رضي الله عنه فيقول: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا، وأميرهم عبدالله بن جبير وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا، حتى أرسل إليكم[٦٦]. ثم قام صلى الله عليه وسلم بترتيب جيشه وحمل هو وأصحابه على المشركين فهزمهم الله، كما قال الله تعالى: **﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ماأركم ماتحبون﴾**[٦٧] وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا. فقالت الرماة: الغنيمة

---

(٦٣) خ: ٧٠٣٥.

(٦٤) فتح البارى: ٣٤٦/٧. وأخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٥١ والدارمي: ٢/ ١٢٩-١٣٠ ورجاله رجال الصحيح.

(٦٥) سورة آل عمران: ١٢١/٣.

(٦٦) خ: ٣٠٣٩.

(٦٧) سورة آل عمران: ١٥٢/٣.

ياقوم بعد أن ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟ فأبى بعضهم فثبت مكانه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تبرحوا مكانكم، وخالف الآخرون، فأقبلوا على الغنيمة كما قال الله تعالى: **﴿منكم من يريد الدنيا﴾** أي الغنيمة **﴿ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾** لكنه عفا عنهم بقوله **﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾**(٦٨) .

فلما رأت خيل قريش ظهور المسلمين خالية من الرماة، حملوا عليهم فقتلوا من بقي من الرماة، وأتوا المسلمين من خلفهم، وصرخ إبليس لعنه الله ألا إن محمدا قد قتل، فانفضت صفوف المسلمين، ورجعت قريش بعد هزيمتها، وخلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرموه بالحجارة حتى وقع لشقه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وضربه ابن قمئة الليثي على وجهه، فدخلت حلقتان من حلق المغفرة في وجنته، وضربه آخر على رأسه حتى هشم البيضة، وكانوا أحرص شيء على قتله، فعصمه الله منهم، وهو صلى الله عليه وسلم ثابت، ينادى أصحابه، فلم يلو عليه أحد، إذ لم يعرفوه، وظنوا أنه قد قتل، وهو في الحديد والدرع والمغفر، كما قال الله تعالى: **﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم﴾**(٦٩) .

قتاله صلى الله عليه وسلم في أحد :-

ثم إن كعب بن مالك الأنصارى - رضي الله عنه - عرف النبي - صلى الله عليه وسلم- فصاح: يامعشر المسلمين أبشروا، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعطف عليه نفر من المسلمين، ونهضوا إلى الشعب. فأدركهم أبي بن خلف فارسا وهو يقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا وشد عليه، فاعترضه رجال من المسلمين دون النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم بيده - هكذا (أي خلوا طريقه)، وتناول الحربة فهزها حتى تطايروا من حوله لشدة بأسه، ثم

---

(٦٨) سورة آل عمران: ١٥٢/٣ .

(٦٩) سورة آل عمران: ١٥٣/٣ .

استقبله فدقه في عنقه بطعنة تدأدأ لها عن فرسه مراراً ونفذت من الدرع فرجع إلى أصحابه فمات. فهم المشركون أن يكروا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في الشعب فحماهم الله منهم.

وقاتل مع - الرسول صلى الله عليه وسلم - نفر من الملائكة وأصحابه. فعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله - عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[٧٠] يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام. وكان صلى الله عليه وسلم قد نثل كنانته يوم أحد لسعد بن أبي وقاص وقال: ارم فداك أبي وأمي[٧١]. وحاول بعض المشركين قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وادموا وجهه الشريف فاشتد غضبه صلى الله عليه وسلم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم: اشتد غضب الله على من قتله نبي الله واشتد غضب الله على من أدمى وجه نبي الله[٧٢]. وكان صلى الله عليه وسلم قد جرح وجهه وكسرت رباعيته وهشمت بيضته على راسه، واستمر نزف الدم عنده لم يتوقف إلا عندما احرقت فاطمة قطعة حصير حتى صارت رمادا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم[٧٣]. وقال صلى الله عليه وسلم «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله تعالى **﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾**[٧٤]. وقص عليهم صلى الله عليه وسلم في ذلك حكاية «نبي من الانبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم أغفر لقومي فإنهم لايعلمون»[٧٥] وذلك تطييبا لقلوب أصحابه. ودافع عنه سبعة من الأنصار حتى استشهدوا. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول

---

(٧٠) م: ١٧٩/٥.
(٧١) خ: ٤٠٥٥.
(٧٢) خ: ٤٠٧٤.
(٧٣) م: ١٧٨/٥ وخ: ٢٩٠٣.
(٧٤) م: ١٧٩/٥ وخ: ٤٠٦٩ والآيات من سورة آل عمران ٣: ١٢٨.
(٧٥) خ: ٣٤٧٧.

الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد (أي كان بمفرده مع هؤلاء الصحابة) في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ،فلما رهقوه (أي اقتربوا منه) قال: «من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة؟» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا فقال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة»؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه: «ما أنصفنا أصحابنا»(٧٦) أي إن الأنصار استشهدوا دون قريش. وكان منهم زياد بن السكن، قاتل حتى أثخنته الجراح، فلما عاد المسلمون لنجدة الرسول صلى الله عليه وسلم، انكشف الكفار، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أدنوه مني، فأدنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم(٧٧).

شهداء أحد: -

وقتل في أحد العديد من الصحابة منهم حمزة بن عبد المطلب وأنس بن النضر ومصعب بن عمير وعبدالله بن حرام. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (لما قتل أبى عبدالله بن عمرو بن حرام)، وكشف الثوب عن وجهه،[جعلوا ينهوني ورسول الله صلى الله عليه وسلم لاينهاني] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع أو رفعتموه(٧٨). وكان عبدالله قد قال لجابر: ما أرانى إلا مقتولا، وإنى لا أترك بعدى أعز علي رسول الله منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن على دينا فاقض واستوص بإخوانك خيرا، فدفن في قبر ثم استخرج بعد ستة شهور، فكان كيوم وضعوه (لم يتغير)(٧٩).

---

(٧٦) م: ١٧٨/٥.
(٧٧) سيرة ابن هشام: ٣-٨١/٤.
(٧٨) خ: ٢٨١٦ و م: ١٥٢/٧ وما بين الأقواس من صحيح مسلم.
(٧٩) الطبقات: ٣ / ٥٦٢-٥٦٣.

وممن استشهد في أحد أنس بن النضر رضي الله عنه وفي استشهاده قصة عجيبة تدل على صدق إيمانه. عن أنس رضي الله عنه: عمي الذى سميت به[٨٠] لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبت عنه، وإن أراني الله عز وجل مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليراني الله تعالى ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. قال: فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ (منهزما)، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واها[٨١] لريح الجنة أجده دون أحد، [وفي البخارى إنه قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعنى أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعنى المشركين] قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته: عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية (**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه»[٨٢]. وكان أنس ممن قال فيهم صلى الله عليه وسلم «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[٨٣].

ومما يدل على رقة الصحابة وتذكرهم لإخوانهم ماورد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه أتى بطعام لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان صائما «فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في برد. إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه. وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني. ثم بسط لنا من الدنيا مابسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا. ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام»[٨٤]. وكان

---

(٨٠) أي أنس بن النضر.
(٨١) تعبير عن اللهفه.
(٨٢) م: ٤٥/٦ و خ: ٢٨٠٥ والآيات من سورة الاحزاب ٣٣ : ٢٣.
(٨٣) خ: ٢٨٠٦.
(٨٤) خ: ٤٠٤٥.

صلى الله عليه وسلم قد قال عن مصعب رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الرجل الذى قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذيانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون[٨٥].

ومن شهداء أحد، عمرو بن أقيش وكان له ربا كثير في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه من الناس خشية أن يفقده، فلما علم بخروجهم لموقعة أحد، خرج معهم، فلما ردوه المسلمون قال: إنني آمنت، فقاتل وقتل، فمات فدخل الجنة وما صلى صلاة[٨٦] وكان قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقنع بالحديد، فقال: يارسول الله، أقاتل أو أسلم ؟ قال: أسلم ثم قاتل. فأسلم ثم قاتل فقتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلا وأجر كثيرا»[٨٧]. ومنهم عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا في السن، فأراد أولاده أن يمنعوه وقالوا: إن الله أعذرك، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك، ثم قال لبنيه: ماعليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد[٨٨].

وكان صلى الله عليه وسلم، قد حزن أشد الحزن لموت عمه حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - حتى إن وحشيا عندما أسلم وقابل الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له صلى الله عليه وسلم: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى ؟ قال وحشى: فخرجت، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة الكذاب لعل أقتله فأكافئ به

(٨٥) آخرجه الترمذى بلفظ آخر رقم ٢٤٧٨ وقال حديث حسن.
(٨٦) فتح البارى : ٢٥/٦ وآخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ١٩/٢.
(٨٧) خ : ٢٨٠٨.
(٨٨) البداية : ٣٧/٤ والكاندهلوى : ٣٣٢/١.

حمزة، فقتله[٨٩]. وروى عن ابن مسعود: ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء[٩٠]. وقال صلى الله عليه وسلم " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله»[٩١].

وفي أحد نزل قوله تعالى **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾**[٩٢].

الحرص على مودة الإخوان:-

وعندما توفى زوج حفصة بنت عمر من جراحه في غزوة أحد، سعى عمر إلى تزويج ابنته من الصالحين. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحدث «أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفى بالمدينة - فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمرى. فلبثت ليالى، ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلى شيئا، وكنت أوجد عليه منى على عثمان (أي أكثر عتبا)، فلبثت ليالى، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم

---

(٨٩) خ : ٤٠٧٢.
(٩٠) عبد الوهاب : ٣٣١.
(٩١) حديث حسن من ص ج ص : ٣٥٦٩.
(٩٢) سورة ال عمران ٣ : ١٣٩-١٤٢.

أرجع إليك شيئا؟ قال عمر: قلت نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها»(٩٣). وفي الحديث فضل كتمان السر وحرص الأخ على مودة أخيه ببيان سبب العتب بعد زواله.

السرايا بعد أحد:-

وبعد أحد، وفي صفر من السنة الرابعة، بعث النبي صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت في عشرة عينا (أي لتحسس الاوضاع)، فلما كان بالرجيع، وهو ماء لهذيل بين عسفان و مر الظهران، وعسفان على مرحلتين من مكة، ذكر(أي أعلموا) لبني لحيان، وهم بطن من هذيل فتبعهم منهم نحو مائة رام، فالتجأ عاصم وأصحابه إلى أكمة فأحاط بهم القوم، ولم يقدروا على الوصول إليهم، فأمنوهم وأعطوهم العهد أنهم إذا استسلموا لا يقتلونهم، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر بالله أبدا، اللهم أخبر عنا رسولك. فقاتلوهم حتى قتل عاصم في ثمانية من الصحابة، ثم أرادوا أخذ رأسه (أي عاصم) فختلهم عنه الدبر (أي شغلتهم عنه الزنابير) فتركوه إلى الليل ليأخذوه، فجاءه سيل فاحتمله. وكان قد أعطى الله عهداً أن لايمسه مشرك، ولا يمس مشركا، فأتم الله له ذلك بعد وفاته، كما وفي به هو في حياته. ونزل إليهم خبيب بن عدى و زيد بن الدثنة بالأمان، فغدروا بهما، فانطلقوا بهما إلى مكة فباعوهما. فأما زيد فاشتراه صفوان بن أمية بن خلف فقتله بأبيه، وكان قتل أباه يوم بدر. وأما خبيب فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل فقتلوه بأبيهم، وكان قتل أباهم يوم بدر أيضا. فلما خرجو بزيد من الحرم إلى أدنى الحل. وقربوه

---

(٩٣) خ: ٣٠٤٥ وسيرة ابن هشام: ١٧٦/٢.

للقتل، قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟. قال: والله ما أحب أن محمداً تصيبه الآن في مكانه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي، فقتلوه.

ولما خرجوا بخبيب ليقتلوه، ودعا بماء فتوضأ، وصلى ركعتين، وأوجز فيهما وقال: لولا أن تظنوا بي جزعا لزدت، فهو أول من سن هاتين الركعتين عند التقديم للقتل ثم أنشد-:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعى

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتلوه، ثم صلبوه، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه مصلوب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أيكم يحمل خبيبا عن خشبته، وله الجنة ؟ فانتدب له الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود فارسين، فسارا إلى مكة فحمله الزبير على فرسه، فأغار بعدهما أهل مكة، فلما أرهقوهما ألقاه الزبير فابتلعته الأرض، فسمي: بليع الأرض.

وفاة أبو سلمة: -

وفي هذه السنة من جمادى الآخرة توفى أبو سلمة وهو أحد المهاجرين الاوائل، فتزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد ذلك[٩٤]. فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه. ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبة في

---

(٩٤) وأبو سلمة بن عبد الأسد هو أول مهاجر إلى المدينة قدم عليها قبل البيعة بسنة. وهو أخو الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة.

الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه. وأوصى أم سلمة بإن تقول: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنة». فقالت أم سلمة ذلك[٩٥]، فأعقبة الله من هو خير لها منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فاصبحت بزواجه منها من أمهات المؤمنين.

قيام الليل: -

واستيقظ صلى الله عليه وسلم يوما فزعا مما أرى من فتنة الدنيا والعذاب، فحث أمهات المؤمنين على الاستيقاظ والصلاة. فعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا يقول: سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن (أي فتنة الدنيا ورضاءها)، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات يريد أزواجه لكى يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»[٩٦]. وكان صلى الله عليه وسلم «يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا»[٩٧]. وكان أبو مسلم الخولانى، يقوم الليل فإذا أدركه الإعياء، ضرب رجله قائلا: أنتما أحق بالضرب من دابتى، أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يفوزوا بها دوننا، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالا.

بئر معونة وقتل القراء:

وكذلك بعث صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن مالك العامرى ملاعب الأسنة سبعين رجلا، وهم القراء بجواره وحمايته، فقتلتهم قبائل سليم: عصية ورعل

(٩٥) م: ٣٧/٣-٣٨. وكان كفار قريش قد منعوا أم سلمة أن تهاجر إلى زوجها وأخذوا ابنها منها ثم كانت تبكي كل يوم لمدة عام حتى رقوا لها وردوا إليها ابنها وأعطوها بعير فلقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فرافقها إلى المدينة وكان مشركاً فقالت عنه: ما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة. وسيأتي ذكره بعد قليل (ابن هشام: ٤٦٩/١ – ٤٧٠).

(٩٦) خ: ٧٠٦٩.

(٩٧) خ: ٤٨٣٦.

وذكوان وأخفروا جوار عامر بن مالك. فقنت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عليهم وعلى بني لحيان. وكانوا أطلقوا عمرو بن أمية الضمري، فلما رجع وجد اثنين من بني عامر فقتلهما ومعهما جوار من النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم به، فوداهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وممن قتل في بئر معونة، عامر بن فهيرة مولى أبي بكر - رضي الله عنهما. فعن عمرو بن أمية الضمري، أن عامر بن الطفيل قال له: من هذا؟ وأشار له إلى عامر بن فهيرة فقال له عمرو: هذا عامر بن فهيرة. فقال: لقد رأيته رفع بعد ماقتل إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع(٩٨)، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم، فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم(٩٩).

وفي رواية مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون، فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصفة، وللفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. قال: وأتى رجل حراما (خال أنس) من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا»(١٠٠). ويقول أنس رضي الله عنه « قنت

(٩٨) خ : ٤٠٩٣ وعامر بن فهيرة أسلم قديما قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وعذب مع المستضعفين وأعتقه أبو بكر وكان يروح بغنم أبي بكر لما كان صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في الغار.
(٩٩) خ : ٢٨٠١.
(١٠٠) م : ٤٥/٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا قط أشد منه»[١٠١].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا «يدخل بيتا غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي»[١٠٢].

سورة الإخلاص: -

وكان صلى الله عليه وسلم يحب سورة الإخلاص، فحرص على دوام قراءتها أحد أصحابه فأثنى عليه. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه». وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»[١٠٣]. وقد قيل: نظر الأكياس(أي العقلاء) في تفسير الإخلاص فما وجدوا، غير أن تكون حركة المؤمن وسكونه في سره وعلانيتة لله تعالى وحده لايمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا[١٠٤]. ولذلك لا عجب أنه من قرأها عشر مرات دخل الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم: من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات، بني الله له بيتا في الجنة[١٠٥].

وفي ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة: قصد النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١٠١) خ: ١٣٠٠.

(١٠٢) خ: ٢٨٤٤.

(١٠٣) خ: ٧٣٧٥، ٧٣٧٤. وممن كانوا يكررون هذه السورة ابن قرقول صاحب كتاب معالم الأنوار وكان من الأفاضل وقد صلى الجمعة في جامع، فلما حضرته الوفاة، تلا سورة الإخلاص وجعل يكررها بسرعة بسرعة ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا رحمه الله تعالى (وفيات الاعيان: ٦٢/١).

(١٠٤) التبيان للنووى: ٣٦.

(١٠٥) حديث صحيح من ص ج ص: ٦٣٤٨.

بني النضير[١٠٦] من يهود المدينة يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري. فاستند إلى جدار حصن لهم، فهموا بطرح حجر عليه، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقام موهما لهم أنه غير ذاهب، ثم صبحهم صلى الله عليه وسلم بالجيش فجلاهم إلى الشام.

إشفاقه صلى الله عليه وسلم على أسماء:-

كما أشفق صلى الله عليه وسلم على أسماء بنت أبي بكر عندما رآها تعبة تحمل النوى من مسافة بعيدة. وكانت تحمل النوى من أرض أقطعها صلى الله عليه وسلم للزبير من أموال بنى النضير فأناخ صلى الله عليه وسلم دابته ليحملها فاستحت ولم تركب. فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت «تزوجنى الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح (الجمل الذى يستخدم في سقاية الماء) وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء وأخرز غربه (أي أخيط الدلو) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لى من الأنصار، وكن نسوة صدق (من حسن العشرة)، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير، التى أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، على رأسى وهي منى على ثلثى فرسخ (أو ما يقارب خمسة كيلو متر)[١٠٧]، فجئت يوما والنوى على رأسى، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار، فدعاني، ثم قال: إخ إخ، ليحملنى خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته - وكان أغير الناس - فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت

---

(١٠٦) يرى الزهري رحمه الله أنها كانت على رأس ستة شهور من وقعة بدر (فتح الباري: ٧/ ٣٢٩) وخالفه في ذلك معظم أهل المغازي.

(١٠٧) الفرسخ ثلاثة أميال هاشميه والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون اصبعا معترضة (القسطلاني : ٢٨١/٤) فتكون الذراع تقريبا ٤٨سم.

غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفينى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى» (١٠٨).

وقول الزبير يعنى بها أن ركوبها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينشأ عنه عظيم أمر مثلما يحصل من حمل النوى وما يقع من مزاحمة من رجال من غير قصد. ويحتمل أن الزبير ظن أن بعض الناس قد يتوهم أن ترك المرأة تحمل النوى من مكان بعيد، فيه دناءة نفس وقلة غيرة فلم يرض بذلك. وكان زوجها الزبير وأبوها أبو بكر رضي الله عنهما، قد شغلا بالجهاد عن أن يتعاطيا أعمال البيت بأنفسهما، فقامت به نسائهما. وورد أن الخادم الذى أرسله أبو بكر، قد أرسله صلى الله عليه وسلم إليه ليعطيه أسماء رحمة بها.

كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في رمضان في موعد مع أبي سفيان له يوم أحد إلى بدر فلم يأته أبو سفيان وقومه، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم.

مداعبته للصغار: -

وكان صلى الله عليه وسلم يحب مداعبة الصغار والأطفال ويهش لهم، ورأي مرة أخا أنس خادمه كسير النفس، فأخذ يداعبه. فعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، وكان لى أخ يقال له أبو عمير - قال أحسبه فطيما (أي انتهى إرضاعه) وكان إذا جاء (صلى الله عليه وسلم) قال: يا أبا عمير، مافعل النغير؟ (يمازحه وخاصة أن نغيره وهو الطائر الذى يلعب به قد مات). وكان عمير حزين النفس في ذلك اليوم لموت طائره. فانظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرة زيارته لبيت أبو طلحة وهم أقارب خادمه أنس وتلطفه بالصغير والسؤال عن حاله ومعاشرته للناس على قدر عقولهم ومداركهم. وبينما الرسول صلى الله عليه وسلم معهم في البيت «فربما حضرت الصلاة، فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس

---

(١٠٨) خ: ٥٢٢٤ و م: ١١/٧-١٢.

وينضح (بالماء) ثم يقوم ونقوم خلفه (أهل البيت) فيصلي بنا[١٠٩]». وهو مصدق لوصفه بأنه «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وكان يقول: إن خياركم أحسنكم أخلاقا»[١١٠].

أبو طلحة وأم سليم: -

وتوفى ابن لأبي طلحة، فكانت أم سليم (زوجته) خير زوجة. فعن أنس رضي الله عنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لاتحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء، فقال أبو طلحة: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح، فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، قال: ثم تصنعت له أحسن تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها. قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب، فقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني. فانطلق حتى أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما»[١١١]. قال: فحملت، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة من سفر لايطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذى كنت أجد، انطلق، فانطلقنا. قال: وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاما، فقالت لي أمي

(١٠٩) خ: ٦٢٠٣.
(١١٠) خ: ٣٥٥٩.
(١١١) قال رجل من الأنصار: فرأيت لهما أي من هذا الابن وهو عبدالله ابن أبي طلحة تسعة من أولاد كلهم قد قرأ القرآن أي حفظه (خ: ١٣٠١) من تبريك الرسول صلى الله عليه وسلم.

(وهي أم سليم) : يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فصادفته ومعه ميسم (الآلة التى توسم بها الماشية وكان يسم بها إبل الصدقة)، فلما رآني، قال: «لعل أم سليم ولدت؟» قلت: نعم. قال: فوضع الميسم. قال: وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه (فمه) حتى ذابت، ثم قذفها في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى حب الأنصار التمر». قال: فمسح وجهه وسماه عبدالله[١١٢]. وفي الحديث محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من الأنصار وعوائلهم وحرصه على الدعاء لهم وإنه يعمل في مهنة أهله. وكان صلى الله عليه وسلم «يخيط ثوبه ويخصف نعله، ويعمل مايعمل الرجال في بيوتهم»[١١٣].

وفيها كاد يموت أحد أحفاده، فجاءه صلى الله عليه وسلم وهو ينازع الموت، ففاضت عيناه رحمة وشفقة وتأثرا. فعن أسامة ابن زيد قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته (وهي زينب) تدعوه إلى ابنها (أو ابنتها أمامة بنت العاص) في الموت (أو شارفت على الموت)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارجع فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب. فأعادت الرسول أنها قد أقسمت ليأتينها. فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، فدفع الصبى إليه ونفسه تقعقع كأنها في شن (أي كالصوت الصادر عن القربة اليابسة القديمة)، ففاضت عيناه. فقال له سعد: يارسول الله ماهذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[١١٤] وقد عافى الله سبحانه وتعالى حفيدته أمامة وعاشت فترة بعده صلى الله عليه وسلم.

---

(١١٢) م : ٧/١٤٥-١٤٦ وما بين القوسين في خ : ١٣٠١.
(١١٣) حديث صحيح من ص ج ص : ٤٨١٣.
(١١٤) خ : ٧٣٧٧.

شجاعته صلى الله عليه وسلم :-

وسمع أهل المدينة صوتا في الليل فخافوا أن يهجم عليهم العدو، فوجدوه صلى الله عليه وسلم أقفل عائدا وقد استكشف لهم الخبر، فلم يجد مايخافون منه، فرجع إلى المدينة يسكنهم ويطمئنهم. فعن أنس قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري ماعليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرا، أو إنه لبحر (أي وجدنا الفرس سريعا كالبحر)[١١٥].

محقرات الذنوب :-

وكان صلى الله عليه وسلم كثير التنبيه إلى عدم احتقار الذنوب الصغيرة حتى لا تتكاثر على المرء فتهلكه. فعن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات (أي المهلكات)[١١٦]. وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لعائشة رضي الله عنها: ياعائشة، إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا[١١٧]. وعن عبدالله بن مسعود إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم (أي طعامهم) فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى

---

(١١٥) خ : ٦٠٣٣.
(١١٦) خ : ٦٤٩٢.
(١١٧) رواه النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان. ويقول ابن بطال : المحقرات إذا كثرت، صارت كبارا مع الاصرار.

جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ماقذفوا فيها»[١١٨]. ويقول أبو أيوب الأنصارى في ذلك «إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال مشفقا حتى يلقى الله آمنا»[١١٩].

الحسنات يذهبن السيئات :-

وقبل رجل امرأة لا تحل له، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم القصاص، فحثه على كثرة الحسنات. فعن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزلت عليه ﴿**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ قال الرجل: ألي هذه ؟ قال: لمن عمل بها من أمتى. وفي رواية مسلم «فقال رجل من القوم: يانبي الله هذه له خاصة؟ قال: بل للناس كافة»[١٢٠].

ابتلاء الخندق :-

أما وقعة الخندق وهي الأحزاب فقد حدثت أيضا في شوال سنة أربع وكان المشركون فيها أحد عشر ألفا. واشتد الحصار على أهل المدينة، و (**زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر**)، كما حكى الله عنهم. وكانت مدة الحصار نحو شهر. ثم كشف الله عنهم بما ذكره في قوله تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها**﴾، ونزلت سورة الأحزاب. وفيه شغل صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر، فقال «حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم نارا»[١٢١].

---

(١١٨) رواه احمد رقم ٣٨١٨، وقال احمد محمد شاكر اسناده صحيح.
(١١٩) فتح البارى : ٣٣٠/١١.
(١٢٠) خ : ٤٦٨٧ وم : ١٠٢/٨ والايات من سورة هود ١١: ١١٤.
(١٢١) خ : ٤٥٢٣ والآيات من سورة الاحزاب ٣٣ : ٩-٢٧.

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدم الاحزاب، فاستشار أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق فشرع فيه وقسمه بين المهاجرين والأنصار فاجتهدوا في حفره متنافسين في رضا الله ورسوله، بحيث لاينصرف أحد منهم لحاجته حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم. وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم التراب على عاتقه ويكابد معهم النصب والجوع حتى اغبرّ بطنه الشريف وكان يرتجز معهم بأبيات عبدالله بن رواحه:-

والله لو لا اللهُ ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلَنْ سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ويمد بها صوته: أبينا، أبينا[(١٢٢)]

وكانوا يرتجزون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد مابقينا أبدا

فيجيبهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار وللمهاجرة[(١٢٣)]

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأي ما أصاب أصحابه فيه من الشدة، استشار الأنصار في أن يعطى عيينة بن حصن الفزارى والحارث بن عوف المري قائدي غطفان - ثلث ثمار المدينة على أن يفرِّقا الجمع. فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: أهذا أمر أمرك الله به لابد منه فالسمع والطاعة لله ولرسوله، أم هذا أمر تصنعه لنا ؟. قال: بل لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر شوكتهم. فقال له سعد: قد كنا ونحن وهؤلاء على الشرك وهم لايطمعون منا بثمرة إلا قرى (أي ضيافة) أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام

---

(١٢٢) خ: ٣٠٣٤ و م: ٥/١٨٧-١٨٨.

(١٢٣) خ: ٢٨٣٤ و م: ٥/١٨٩.

وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟. والله لا نعطيهم إلا السيف. فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم(١٢٤). فجاءتهم الريح وانفرط عقد الأحزاب.

شدة الابتلاء :-

وذكر أحد التابعين، أنهم لو كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبلوا البلاء الحسن، فذكر له حذيفه حادثة الخندق. عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر (أي برد)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله عز وجل معي يوم القيامة» ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله عز وجل معي يوم القيامة» ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم»، فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي»، فلما وليت من عنده، جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم (أي لم أحس بالبرد) فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار(أي يتدفأ)، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ولا تذعرهم علي»، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت، قررت (أي شعرت بالبرد)، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما، حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: «قم يانومان» (أي من المبالغة في النوم)(١٢٥). والآيات في سورة الاحزاب شاهد على شدة الخوف والفزع كما قال سبحانه وتعالى **﴿يا أيها الذين**

---

(١٢٤) خ : ٢٩٣٣.

(١٢٥) م : ١٧٧/٥.

آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾(١٢٦).

والريح التي نصر بها صلى الله عليه وسلم هي ريح الصبا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»(١٢٧).

عقاب بنو قريظة:-

وقد قال - صلى الله عليه وسلم - لما انصرفت الأحزاب: لن تغزونا قريش بعدها أبدا، بل نغزوهم ولا يغزوننا(١٢٨). ولما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم السلاح واغتسل أتاه جبريل وقال: وضعت السلاح ؟ والله ماوضعناه، اخرج إليهم. قال: فأين، قال: هاهنا وأشار إلى بنى قريظة(١٢٩). فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأي منهم من الشر، فنزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فجاء حلفاؤهم من الأوس وقالوا: هبهم لنا يا رسول الله كما وهبت بني قينقاع لحلفائهم الخزرج. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيكم سيدكم سعد بن معاذ. قالوا: بلى، وكان سعد قد أصيب بسهم يوم الخندق، فجعله النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد في خيمة ليعوده عن قرب، فأتاه قومه فاحتملوه على حمار وأقبلوا به، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك (أي: حلفائك)

---

(١٢٦) الاحزاب ٣٣ :٩-١١.

(١٢٧) خ: ١٠٣٥. والصبا ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وعكسه الدبور (مختار الصحاح: ٣٤٣).

(١٢٨) م: ٥/١٦٠.

(١٢٩) خ: ٤١١٧ ويقول أنس رضي الله عنه وكأني أنظر إلى الغبار ساطعا من سكة بنى غنم أو بنى عمرو (مساكنهم قرب المسجد)، موكب جبريل حين سار إلى بنى قريظة.(خ: ٤١١٨).

فقال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم أنه قاتلهم. فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن عنده: قوموا إلى سيدكم، فقام له المهاجرون. قالوا: إنما أراد الأنصار، والأنصار يقولون قد عم بها. فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء، وقسمة الأموال. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت بحكم الملك[١٣٠] فخد لهم أخدودا وضرب أعناق الرجال وألقاهم فيه. وكان عدد من قتل منهم نحو سبعمائة. وفيهم أنزل الله تعالى متفضلا ﴿**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا. وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا**﴾[١٣١]. وقيل إن أرضا لم تطؤوها هي خيبر.

وكان سعد رضي الله عنه لما أصيب يوم الخندق، دعا الله فقال: اللهم فإن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها وإلا فاجعل لي شهادة ولا تمتني يارب حتى تقر عيني من بني قريظة. فلما انقضى شأنهم ورجع إلى خيمته بالمسجد استجاب الله له دعوته، فانفجر جرحه فمات فيها ولم يشعر أحد بموته حتى نزل جبريل عليه السلام فقال: من هذا الذى فتحت لروحه أبواب السماء، كما اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وحضر جنازته سبعون ألف ملك[١٣٢].

تذكيرهم بالموت:-

وكان صلى الله عليه وسلم يداوم على تذكير الصحابة بهادم اللذات، فقال لهم يوما: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادى مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون (أي يمدّون عنقهم لينظروا) وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه. ثم ينادى: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول:

---

(١٣٠) خ: ٣٠٤٣.
(١٣١) سورة الاحزاب ٣٣: ٢٥-٢٦-٢٧.
(١٣٢) خ: ٣٨٠٣ و م: ٧/١٥٠.

هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت. ثم قرأ **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾**[١٣٣].

بنو المصطلق وكشف المنافقين: -

وفي شعبان من السنة الخامسة، بلغه صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق من خزاعة أجمعوا لحربه. فخرج صلى الله عليه وسلم إليهم حتى لقيهم بالمريسيع وهو ماء من ناحية قديد وهو مكان بين مكة و المدينة فهزمهم، وسبى أموالهم وذراريهم، واصطفى منهم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنها. فلما سمع الناس بزواجه صلى الله عليه وسلم، قالوا: أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، فأطلقوا جميع من في أيديهم. وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[١٣٤].

فتنة المنافقين: -

ولما قفل صلى الله عليه وسلم من المريسيع، ازدحم المهاجرون والأنصار على ماء وكادت تحدث فتنة وكان الأنصارى قد قال: يا للأنصار، وقال المهاجرى: يا للمهاجرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا: يارسول الله ضرب رجلا من المهاجرين رجل من الأنصار. فقال: دعوها فإنها منتنة[١٣٥]. وقد نزلت سورة المنافقين عندما حدثت هذه الفتنة وتداعى الفريقان فتكاثر المهاجرون على الأنصارفغلبوهم. فجعل عبدالله بن أبي بن سلول يؤنب أصحابه ويقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولكن والله **(لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها**

---

(١٣٣) خ : ٤٧٣٠ والايات من سورة مريم ١٩ : ٣٩.

(١٣٤) ابن هشام : ٣-٤/٢٩٥.

(١٣٥) م : ١٩/٨.

الأذل)، إما تركوها لنا أو إما تركناها لهم. وكان زيد بن أرقم رضي الله عنه حاضرا عنده، فشق عليه ذلك، فحمل كلامه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه فعاتبوه على ذلك وأنكر وكذّب زيدَ بن أرقم وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحلف بالله إنه ماقال شيئا من ذلك وإنه ليشهد إنه رسول الله حقا. فقبل منه علانيته ووكل سريرته إلى الله تعالى فحزن لذلك زيد بن أرقم حزنا شديدا وقال له قومه: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك الناس.

فلما ارتحل صلى الله عليه وسلم من ذلك المنزل أردف زيد بن أرقم خلفه، وكان يومئذ فتى، فنزل جبريل الأمين بسورة (المنافقون) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم: أبشر فقد صدقك الله، وقال له: هذا الذى أوفى الله له بأذنه. وتلاها النبي صلى الله عليه وسلم على الناس: ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. اتخذوا أيمانهم جنة...** ﴾[١٣٦].

مداراته للناس:-

وكان لعبدالله بن أبي، ابن يسمى: عبدالله بن عبدالله بن أبي وكان مؤمنا صادقا حسن الإيمان. فلما أراد أبوه أن يدخل المدينة وكان قد تخلف قليلا عن الناس رده وقال: والله ياعدو الله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعلم أنه الأعز، وأنت الأذل ولئن أمرني لأضربن عنقك. فأرسل إليه وقال: يارسول الله إن شئت أن آتيك برأسه فمرني بذلك. فقال صلى الله عليه وسلم: تعاشره معاشرة حسنة حتى يموت أو تموت لئلا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. فعامله صلى الله عليه وسلم بالإحسان مدة حياته وكفنه في قميصه بعد وفاته واستغفر له

(١٣٦) سورة المنافقون ٦٣ : ١-٢.

قبل أن ينهى عنه(١٣٧). وقام على قبره وصلى عليه ثم نهى عن ذلك بنزول قوله تعالى: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾(١٣٨). وكان عمر رضي الله عنه يحاول أن يثنى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار لعبدالله بن أبي، فقال له صلى الله عليه وسلم: «أخر عني ياعمر، إني خيرت، فاخترت، فقد قيل لي (**استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم**)، لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت»(١٣٩). وكان صلى الله عليه وسلم يعفو عن المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي ويصفح عنهم لكمال خلقه. فقد جاءه مرة على حمار له، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال: عبدالله بن أبي، إليك عنى، والله لقد آذاني نتن حمارك. فقال له رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك. فغضب لعبدالله رجل من قومه، فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والنعال(١٤٠).

حادثة الإفك: -

ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تخلفت عائشة رضي الله عنها عن الجيش ليلا في قضاء حاجة لها، فرحلوا هودجها ولم يشعروا بها، فقال أهل الإفك فيها ماقالوا، ونزلت عشر الآيات من سورة النور: ﴿**إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم**﴾(١٤١).

---

(١٣٧) خ: ٤٦٧٠ و ٤٦٧٢ وتوفى عبدالله بن أبي في السنة الثامنة بعد مرجعه من تبوك. وكان عبدالله بن أبي قد أعطى قميصه لعم الرسول صلى الله عليه وسلم العباس عندما أسر في بدر، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم مكافأته على ذلك (خ: ٣٠٠٨).

(١٣٨) م: ١١٦/٧ والايات سورة التوبة ٩ : ٨٤.

(١٣٩) حديث صحيح من ص ج ص: ٢٢٥ والايات من سورة التوبة ٩ : ٨٠.

(١٤٠) خ: ٢٦٩١.

(١٤١) سورة النور ٢٤:١١.

أما حديث الإفك، فترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فأنا أحمل في هودجي. فلما «دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني (أي حاجتي) أقبلت إلى الرحل، فلمست صدرى فإذا بعقد لى من جزع ظفار (أي من خرز يماني قد انقطع)، فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب فيه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن من اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام (أي القليل منه)، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن (للدلالة على صغر سنها وقلة تجاربها) فبعثوا الجمل (أي حثوه على المسير) وساروا، فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأممت منزلي الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند المنزل فلما رأي سوادى عرفني فاسترجع (من حسن أدبه)، والله ماكلمني بكلمة حتى أناخ راحلته لي فركبتها وأخذ بزمامها يقود بي حتى أتي الجيش، فقال أهل الإفك ماقالوا وكان الذى تولى كبر ذلك عبدالله ابن أبي. فقدمت المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا علم لي بذلك [وهو يريبنى في وجعى أنى لا أعرف في رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أعرف عنه حين أشتكى، إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم؟ فذاك يريبنى ولا أشعر بالشر] حتى خرجت حين نقهت فخرجت ليلة انا و آم مسطح للبراز وذلك قبل أن نتخذ الكنُفُ (أي المراحيض)، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس ماقلت لرجل شهد بدرا. قالت: ألم تسمعي ماقال؟ وكان ممن خاض في حديث الإفك فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازددت مرضا على مرضي فلما

رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم وقد رابني منه أني لا أرى منه اللطف الذى كنت أراه منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ويسأل عني ثم ينصرف، فقلت له: أتاذن لي أن آتي أبوي؟ وأنا أريد أن أستيقن الخبر فأذن لي، فأتيت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يابنية هوني عليك الأمر فوالله قلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها [عند زوجها، إلا حسدت]. فقلت: سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا، فبكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع (أي لاينقطع) ولا أكتحل بنوم (من السهر) حتى أصبحت أبكى. فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم استشار عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد في فراقي.

أما أسامة فقال: يا رسول الله أهلك والله مانعلم إلا خيرا. وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك(١٤٢). فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أي بريرة هل رأيتم منها شيئا يريبك؟ قالت: لا، والذى بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها (أي أعيبه) أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن (أي الشاة المرابطة في المنزل) فتأكله.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الناس واستعذر من عبدالله ابن أبي(١٤٣) فقال: يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ماعلمت على أهل بيتي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا (أي صفوان) ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ سيد الأوس (والأرجح إنه أسيد بن حضير) فقال: أنا أعذرك

---

(١٤٢) قال على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - ماقاله، لما رأي ما في رسول الله صلى الله عليه وسلم من القلق ولما عرفه عنه من شدة الغيرة، فبذل الجهد في نصيحته اراحه لخاطره صلى الله عليه وسلم، فكأنه يقول له: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها وإن أردت غير ذلك، فابحث عن حقيقة الأمر حتى تطلع على براءتها (فتح البارى: ٤٦٨/٨).

(١٤٣) أي من ينصرني فيمن آذاني في أهلي أو من ينصفني منه.

منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . فقام سعد بن عبادة وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمرالله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله[١٤٤] . فتثاور (أي نهض بعضهم إلى بعض من الغضب) الحيان في المسجد حتى هموا أن يقتتلوا ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا [سكت].

قالت : فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم . قالت : وأصبح عندى أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى يظنا أن البكاء فالق كبدى . قالت : فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكي ، إذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس . قالت : ولم يجلس عندى من يوم قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني . فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه . قالت: فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقالته تقلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة .

فقلت لأبي : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، فقال : والله ما أدرى ما أقول له . فقلت لأمي : أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : والله ما أدرى ما أقول له . فقلت : والله لئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم ذلك لا تصدقوني بذلك ، وقد استقر في أنفسكم ماتحدث به الناس . ولئن اعترفت بذنب والله يعلم أني منه لبريئة لتصدِّقُنّي . فوالله لا أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف والتمست اسم يعقوب فدهشت (أي نسيته) ، إذ قال حين قال : (**فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون**)[١٤٥] . قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم أن الله سيبرئنى ، وما كنت أظن أن ينزل

---

(١٤٤) لايعنى ذلك أن سعد بن عبادة يرد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم سيأمر قومه بقتله ولن يقتله غيرهم.

(١٤٥) سورة يوسف : ١٨/١٢ .

في شأني وحي يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من ذلك، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرؤنى الله بها. فوالله ما قام من مجلسه حتى أخذه ما كان يأخذه من البرحاء (شدة الحمى أو الكرب) من ثقل الوحي. قالت: فسرِّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: ياعائشة، أما الله عزوجل فقد برأك. فقالت أمي: قومي إليه. قالت فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولاغيرتموه[١٤٦]. وقالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى، فقال: يازينب، ماذا علمت أو رأيت، فقالت: يارسول الله، أحمى سمعى وبصرى (أي لا أنسب إليها مالم أسمعه أو أبصره) وما علمت إلا خيرا. قالت: وهي التى كانت تسمينى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (أي تنافسنى) فعصمها الله بالورع. وعندما نزل عذرها، قبل أبو بكر رأس ابنته عائشة فقالت له: ألا عذرتني ؟ فقال: أي سماء تظلنى وأي أرض تقلني إذا قلت مالا أعلم؟[١٤٧]. وفي ذلك نزل قوله تعالى **﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾**[١٤٨] ويقول صديق حسن خان «وتحسبون الحديث الذى قمتم بإذاعته شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم وهو عند الله عظيم الذنب والعقاب. وجزع أحدهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال: أخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم»[١٤٩].

ملاعبة الرجل لأهله: -

كان صلى الله عليه وسلم يحرص أن يلاعب أهله وزوجه ويحث الصحابة على ذلك. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١٤٦) خ: ٤٧٥٠، ٤١٤١ و م: ٨/١١٣-١١٨ وما بين القوسين المربعين لمسلم.
(١٤٧) عبد الوهاب: ٣٥٢.
(١٤٨) سورة النور ٢٤: ١٥.
(١٤٩) فتح البيان: ٦/٣٣٤.

بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن (أي لم أكن سمينة)، فقال للناس: تقدموا، ثم قال لى: تعالي حتى أسابقك. فسابقته فسبقته، فسكت عنى. حتى إذا حملت اللحم وبدنت (أي سمنت) نسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا ثم قال لى: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني وقال: هذه بتلك. وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: كل شيء ليس من ذكر الله، لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة(١٥٠).

(١٥٠) حديث صحيح من ص ج ص: ٤٤١١.

الفصل الخامس:

الجهاد والتمكين

وبعد الخندق، كان المسلمون كما قال صلى الله عليه وسلم «نغزوهم ولا يغزوننا ونحن نسير إليهم»[1]. فكانت حوادث وغزوات عديدة، انطلق فيها المسلمون من المدينة لاعلاء كلمة الله.

أحداث غزوة ذات الرقاع:-

ففي جمادى الأولى، حدثت غزوة ذات الرقاع والأرجح أنها حدثت قبل خيبر وبعد غزوة بني قريظة وبعد الخندق وإن كان أبو موسى جاء بعد خيبر من الحبشة كما رواه البخارى[2]. وسميت كذلك لأن أقدام المسلمين قرحت من الحفاء والمشي، فكانوا يلفون عليها الخرق والرقاع. فعن أبي موسى الاشعرى رضي الله عنه «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن في ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أرجلنا (أي رقت) ونقبت قدماى وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا». وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذاك قال: ماكنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه[3]. وقد كره أبو موسى ذلك خشية تزكية نفسه ومع معرفته أن كتمان العمل أفضل من إظهاره ولكنه رأى مصلحة راجحة في بيانه وذكره، اقتداء وتأسيا. وقد سار صلى الله عليه وسلم إلى نجد يريد غطفان فالتقى بهم، ولم يكن قتال، ونزلت: **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة﴾**[4] الآيات فصلوا صلاة الخوف.

---

(١) خ: ٤١١٠.

(٢) خ: ٤١٢٥. وقد حدثت في أواخر السنة الخامسة وأول السنة السادسة (فتح الباري: ٧/ ٤١٦). كما أيده ابن كثير وابن القيم (العلي: ١٦).

(٣) خ: ٤١٢٨ وم: ٥/ ٢٠٠. وكان هذا دأب الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ومنهم الربيع بن خيثم، فقد كان عمله وعبادته كلها سرا حتى إنه ليجيء الرجل وهو قد نشر المصحف فيغطيه بثوبه (حتى لا يراه). الزهد: ٣٣٢.

(٤) النساء ٤: ١٠٢.

ولما قفل صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع نزلوا وقت القيلولة منزلا وتفرقوا، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاه (أي الشجر عظيم الشوك) يستظلون بالشجر[٥]، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة (أي شجرة كثيرة الورق) فعلق بها سيفه. فجاء أعرابي يسمى غورث بن الحارث فأخذ السيف واخترطه (أي استله)، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الأعرابي: من يمنعك مني ؟ قال: الله، فسقط السيف من يده. فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك مني ؟ فقال: كن خير آخذ، فتركه ولم يعاقبه، فذهب إلى قومه. فانظر إلى شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقوة يقينه بالله وصبره على الأذى وحلمه على الجهال من الناس.

وفي غزوة ذات الرقاع، نزل النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فقال: من يحرسنا الليلة ؟ فقام رجل من المهاجرين (وهو عمار بن ياسر) ورجل من الأنصار، فباتا في مقدمة الشعب، فاقتسما الليل للحراسة، فنام المهاجرى وقام الأنصارى يصلى، فجاء رجل من العدو فرأى الأنصارى فرماه بسهم فأصابه ثم رماه بثان فصنع كذلك ثم رماه بثالث فنزف الدم فركع وسجد ومضى في صلاته[٦] ثم أيقظ رفيقه المهاجرى، فلما رأى مابه من الدماء قال له: لم لا أنبهتني أول مارمى ؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن لا أقطعها[٧].

تعجل المسير للزواج:-

فبينما هم قافلون إلى المدينة، أسرع جابر بن عبدالله بالمسير فلاحظ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنه تزوج حديثا، فلاطفه صلى الله عليه وسلم في الحديث ونصحه واشترى منه بعيره إعانة له من طرف خفى على الزواج. فعن جابر بن عبدالله

---

(٥) خ: ٤١٣٥ وفي رواية أخرى، فإذا أتينا شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم (خ:٤١٣٦).

(٦) خ: ٣٤.

(٧) فتح الباري: ١/٢٨١.

قال «قفلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة، فتعجلت على بعير لى قطوف، فلحقني راكب من خلفي، فنخس بعيرى بعنزة (أي عصا) كانت معه، فانطلق بعيرى كأجود ما أنت راء من الإبل، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: مايعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال: أبكرا أم ثيبا؟ قلت: ثيبا. قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك وفي رواية " مالك وللعذارى ولعابها». قال: فلما ذهبنا لندخل. قال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلا - أي عشاء - لكى تمتشط الشعثة (التى لم تهتم بشعرها)، وتستحد المغيبة (تزيل الشعر مما غاب زوجها عنها). وفي حديث آخر بين جابر رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم سبب تزوجه بثيب فقال «[توفى والدى] ولى أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهم [وتؤدبهن] فقال صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك[8]. وكان من ملاطفته صلى الله عليه وسلم أن اشترى منه بعيره أثناء الرحلة وأدى إليه ثمنه في المدينة ورده عليه، مساعدة له على زواجه وقيامه بحق أخواته [9]. وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لجابر «أتبيع جملك؟ قلت: نعم. فاشتراه منه بأوقية. (ويكمل جابر) ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي (أي جابر) وقدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال: الآن قدمت؟ قلت: نعم. قال: فدع جملك فادخل فصل ركعتين، فدخلت فصليت. فأمر بلالا أن يزن له أوقية، فوزن لي بلال فأرجح في الميزان. فانطلقت حتى وليت. فقال: ادعوا لي جابرا. قلت الآن يرد على الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلى منه، قال: خذ جملك ولك ثمنه»[10].

آية التيمم وضياع عقد عائشة: -

ونزلت آية التيمم، عندما ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها، فبحث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسوا عن الماء فعاتب أبو بكر ابنته، فنزلت آية التيمم

---

(٨) خ: ٥٠٧٩ وما بين القوسين المربعين خ: ٢٩٦٧ وانظر م: ١٧٦/٤.

(٩) خ: ٢٩٦٧.

(١٠) خ: ٢٠٩٧.

ووجدوا العقد تحت البعير الذى كانت تركبه[١١]. فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ماصنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده في خاصرتي، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا. فقال أسيد بن الحضير: ماهى بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته[١٢]. وفي الحديث تجمل النساء في سفرهن لأزواجهم وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم وعطفه على أهله والتلطف بهم. وهذه المرة الثانية التى يضيع فيها عقد عائشة رضي الله عنها وهو لايساوى ١٢ درهما. واهتمام الرسول به لأنه كان مستعارا من أختها أسماء رضي الله عنهم جميعا ومن شدة عطفه على زوجته ورفقه بها.

وقبيل السنة السادسة، خرج صلى الله عليه وسلم بأصحابه في غزوة بواط ليلقوا عيرا لقريش، فلم يلقوا أحدا فرجعوا، فترك منهم مجموعة مع أبي عبيدة يرصدون العير[١٣]، فأصابهم الجوع الشديد والجهد، فرزقهم الله حوتا عظيما. فعن جابر

---

(١١) اختلف أهل المغازي في زمن هذه الحادثة فقيل في مرجعهم من غزوة بني المصطلق (فتح الباري: ١/ ٤٣٤-٤٣٥) وقيل في مرجعهم من خيبر وقيل في غزوة ذات الرقاع (القسطلاني: ١/ ٤٤٤-٤٤٥) وهذا الذي رجحناه هنا.

(١٢) خ: ٣٣٤.

(١٣) وسماها البخاري غزوة سيف البحر وقيل إنها في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح (القسطلاني: ١/ ٥٥٦-٥٥٧).

رضي الله عنه قال: «بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة نرصد عيرا لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط، فسمي جيش الخبط، وألقى البحر حوتا يقال له العنبر، فأكلنا نصف شهر، وادهنا بودكه حتى صلحت أجسامنا، قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه فمر الراكب تحته. وكان فينا رجل (وهو قيس بن سعد بن عبادة)، فلما اشتد الجوع نحر ثلاث جزائر (أي إبل)، ثم ثلاث جزائر، ثم نهاه أبو عبيدة»[١٤]. وكان قيس بن سعد من شدة كرمه، صار يشترى الإبل لينحرها من أعرابي مقابل وسق تمر يعطيه إياه في المدينة لاحقا، فأشفق عليه أبو عبيدة من ذلك فنهاه فأطاعه.

وفي ذى الحجة من السنة الخامسة، صرع صلى الله عليه وسلم من على فرس في المدينة[١٥]. فسقط على جذع نخلة، فانفكت قدمه (أي زاغ العظم عن موقعه)، فكان الصحابة يعودنه في مشربة لعائشة رضي الله عنها[١٦].

إسلام ثمامة ومنعه حنطة بنى حنيفة:-

وفي محرم من السنة السادسة، أسلم ثمامة أحد كبار قبيلة بنى حنيفة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد (أميرها محمد بن مسلمة)، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عندك ياثمامة؟ فقال: عندى خير، يامحمد إن تقتلنى تقتل ذا دم (أي سيسعى قومي لطلب ثأرى لرئاستى فيهم)، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ماشئت. فترك حتى كان الغد ثم قال له: ماعندك ياثمامة؟ فقال: ماقلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ماعندك ياثمامة ؟ فقال: عندى ماقلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب

---

(١٤) خ: ٥٤٩٤.
(١٥) خ: ٦٨٩.
(١٦) فتح الباري: ٢/١٧٧-١٧٨. والأدب المفرد: ٢/٣٣٧.

من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يامحمد، والله ماكان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ماكان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ماكان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم»(١٧). ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وناشدوه صلة الرحم وإنك تأمر بها. فكتب صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين التزود من اليمامة(١٨). فانظر كيف تحول بغض الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب ثمامة إلى حب له لما أحسن إليه صلى الله عليه وسلم وترفق به ولاطفه أثناء أسره.

المداراة والرفق: -

وكان صلى الله عليه وسلم يدارى الناس أي يعاملهم برفق، والمداراة من أخلاق المؤمنين. وقد قال صلى الله عليه وسلم في ذلك «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»(١٩). وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «خير الناس أنفعهم للناس»(٢٠). فعن عبدالله بن أبي مليكة «إن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له أقبية من ديباج مزررة بالذهب، فقسمها في أناس من أصحابه، وعزل منها واحدا لمخرمة، فلما جاء قال: خبأت هذا لك [قال: فنظر إليه (مخرمة) فقال: رضي مخرمة]. قال أيوب أحد رواة الحديث، بثوبه أنه يريه إياه. وكان في خلقه

(١٧) خ: ٤٣٧٢ وم: ١٥٨/٥.
(١٨) ابن هشام: ٣-٤/٦٣٨-٦٣٩.
(١٩) حديث صحيح، ص ج ص: ٣١٣٠.
(٢٠) حديث حسن، ص ج ص: ٣٢٨٤.

شيء (أي في خلق مخرمة شدة وغلظة). فأراد صلى الله عليه وسلم مداراته في ذلك[٢١]. وفي حادثة أخرى يقول أنس رضي الله عنه جبذه (جذب) أعرابي «جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، ثم أمر له بعطاء»[٢٢]. واقتدى عمر بن الخطاب فيه في معاملته لعيينة بن حصن. فقد دخل عيينة بن حصن وهو من المؤلفة قلوبهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد استأذن له ابن أخيه الحر بن قيس وهو من أصحاب مجلس عمر. فلما دخل عيينة قال: هى يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**) وإن هذا من الجاهلين. والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله[٢٣].

في جمادى الأولى من السنة السادسة، حدثت غزوة ذى قرد التى أغارت غطفان على لقاح (إبل) الرسول صلى الله عليه وسلم، فلحق بهم سلمة بن الأكوع ورد ما أخذوه. فعن سلمة بن الأكوع قال: «خرجت قبل أن يؤذن بالأولى (أي صلاة الفجر) وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد (مسافة يوم عن المدينة). قال: فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: من أخذها ؟ قال: غطفان. قال فصرخت ثلاث صرخات: ياصباحاه. قال: فأسمعت مابين لابتى المدينة (أي أسمع المدينة جميعها). ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلى - وكنت راميا - وأقول: أنا ابن

---

(٢١) خ: ٦١٣٢. وم:٣/١٠٣-١٠٤ وما بين القوسين المربعين لمسلم.

(٢٢) م: ٣/١٠٣.

(٢٣) خ: ٤٦٤٢ والآيات من سورة الأعراف ٧:١٩٩.

الأكوع، اليوم يوم الرضع. وأرتجز حتى استنفذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة. وقال وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس، فقلت: يانبي الله قد حميت القوم وهم عطاش (أي منعتهم من الشرب)، فابعث إليهم الساعة (أي أرسل لهم). فقال: يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح (أي قدرت فاعف والسجح السهولة) ، قال: ثم رجعنا يردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى دخلنا المدينة»[٢٤]. فانظر إلى الصنع الجميل منه صلى الله عليه وسلم لسلمة عندما أردفه على الناقة تقديرا لفعله وما قام به من عمل في موطن لايخشى عليه الفتنة. وعندما اقتربوا من المدينة، تسابق سلمة مع رجل من الأنصار لا يسبق، فاستطاع سلمة سبقه إلى المكان.

الجلوس مع الصحابة بعد صلاة الفجر:-

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه كل يوم بعد صلاة الفجر، يطمئن على أحوالهم ويذكرهم ويفسر لهم مايرونه من الرؤى في المنام ويذكرهم بالله حتى شروق الشمس. وكان صلى الله عليه وسلم، كما أخبر جابر بن سمرة رضي الله عنه «كان لايقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون، فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم»[٢٥]. كما كان يفسر لهم الرؤيا، فعن ابن عمر قال: إن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله فيقصونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله، وأنا غلام حديث السن وبيتى المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسى لو كان فيك خير لرأيت مثل مايرى هؤلاء. فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم في خيرا فأرني رؤيا. فبينما أنا كذلك إذ جاءنى ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد (كالسياط من حديد رؤوسها معوجة)

---

(٢٤) خ: ٤١٩٤ وم: ٥/ ١٩٠-١٩٥.
(٢٥) م: ٢/ ١٣٢.

يقبلان بى إلى جهنم وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقينى ملك في يده مقمعة من حديد فقال: لن تراع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة. فانطلقوا بى حتى وقفوا بى على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطى البئر، له قرون كقرون البئر (أي جوانب البئر)، بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالا معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم عرفت فيها رجالا من قريش، فانصرفوا بى عن ذات اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عبدالله رجل صالح لو كان يقوم الليل» فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة[٢٦].

الحديبية وبيعة الشجرة:-

وفي السنة السادسة خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا في ذي القعدة فصدته قريش عن البيت، فوقعت بيعة الرضوان. وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لأهل الحديبية: أنتم خير أهل الأرض، وكانوا ألفا وأربعمائة وكانوا بايعوه على الموت[٢٧] وسميت بيعة الرضوان.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهم سفهاؤهم أن يقتلوا عثمان فأجاره ابن عمه، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية. فشاع أن قريشا قتلت عثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا خير في الحياة بعد عثمان، أما والله لئن قتلوه لأناجزنهم. ودعا الناس إلى تجديد البيعة على الموت فبايعوه ثم تحقق كذب الخبر فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: هذه لعثمان. ولا يخفى مافي ذلك من الفضيلة لعثمان رضي الله عنه، وأنزل الله عز وجل - في ذلك قوله: (**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**)[٢٨] ثم صالحهم ثم نحر وحلق ورجع إلى المدينة.

---

(٢٦) خ: ٧٠٢٨ و٧٠٢٩.
(٢٧) خ: ٤١٥٤.
(٢٨) سورة الفتح ٤٨: ١٨.

الصلح : -

ومما جاء في صلح الحديبيه مارواه المسور بن مخرمة و مروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فزجروها فألحت (تمادت في عدم القيام)، فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء (أي حرنت وبركت من غير علة). فقال : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال : والذى نفسي بيده لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ماء قليل فنزحه الناس وشكوا إليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فجاش لهم بالماء الغزير حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي قال : إني تركت قريشا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجيء لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم. فإن شاءوا ماددتهم (أي صالحتهم على مدة معينة) ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا (أي استرحوا من الحرب مدة) وإن هم أبوا، فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي (أي صفحة عنقى) ولينفذن الله أمره. فقال بديل : سأبلغهم ماتقول. وقام فانطلق حتى أتي قريشا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فقال عروة بن مسعود : أي قوم إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتية. قالوا : ائته. فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبديل فرجع عروة إلى قريش، فقال : أي قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا. والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

إرسال سهيل بن عمرو:-

فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو[٢٩]، فلما أقبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهل الأمر. فجاء سهيل: (وبعد حوار طويل بينهما) قال سهيل: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب وهو علي رضي الله عنه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدرى ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إني لرسول الله حقا وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبدالله. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة (أي قهرا) ولكن ذلك من العام المقبل فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما. فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. وكان قد عذب في الله عذابا شديدا. وقال: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت. فقال سهيل: هذا يامحمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد. قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا. قال النبي صلى الله

---

(٢٩) وسهيل بن عمرو هو خطيب قريش، أسر يوم بدر وأسلم ومات بالشام شهيدا وهو الذي رد أهل مكة عن الردة، عندما هموا بالرجوع عن الإسلام وخاف منهم عامل الرسول صلى الله عليه وسلم، فقام فيهم سهيل خطيبا، فأثنى على الله وذكر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عن ما هموا به. (٢/١٦٦) وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم، عندما أسر سهيل في بدر فقال عمر بن الخطاب، دعني أنزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا. فقال صلى الله عليه وسلم لعمر: إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه (ابن هشام: ١-٢/٦٤٩).

عليه وسلم: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك[٣٠]. قال عمر ابن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به، قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام. قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر (وكان غائبا) فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا. قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، قال: بلى. قلت: فلم نعطى الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه (أي بركابه)، فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام. قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالا. (أي من البر لتكفر عني جراءتي بالكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم).

حكمة أم سلمة: -

ثم أمر أصحابه بالنحر والحلق فتلكأوا في ذلك. وكان الصحابة قد ثقل عليهم أمر هذا الصلح، فلم يبادروا بتنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم من الحلق والنحر، لما أهمهم ممن ظنوا أنه ذل لحق بهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم، فتوقفوا لاحتمال أن يكون الأمر للندب أو رجاء لنزول الوحى، فسأل زوجته أم سلمة، فأشارت إليه بأخذ العزيمة في حق نفسه وإن الفعل إذا انضم إلى القول يكون أبلغ من القول المجرد. وهذا دلالة على رجاحة ووفرة عقل أم سلمة[٣١]. فعن المسور بن مخرمة إنه لما «فرغ صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ماقام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما

(٣٠) وسهيل بن عمرو - رضي الله عنه - الذي كان لجوجا وشديدا في رد ابنه ليفتن من الكفار، عزاه أبو بكر - رضي الله عنه - في وفاة ابنه عبدالله الذي توفي في اليمامة، فقال سهيل: لقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يشفع الشهيد لسبعين من أهله»، فأنا أرجو أن لا يبدأ ابني بأحد قبلي (الحديث صحيح رواه أبو داود نقلا من صفة الصفوة: ٤٥٥).

(٣١) فتح الباري: ٥/٣٤٧.

لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس، فقالت أم سلمة: يانبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا»[٣٢].

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع إلى المدينة لحقه رجال مسلمون من قريش فردهم فانقلبوا ولحقوا بسيف البحر حتى اجتمعت منهم عصابة فجعلوا لا تمر بهم عير لقريش إلا اعترضوها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ضمهم إليه وأن من خرج إليه فهو آمن فضمهم[٣٣]. وعندما قدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وصحبه بأن يرجعوا إلى أهليهم وبلادهم، كان أبو بصير على شفا الموت ومات رضي الله عنه والكتاب على صدره فدفنه صاحبه أبو جندل وقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٤].

كان صلى الله عليه وسلم قد صالح بالحديبية عشر سنين ومما جاء فيه:

- أنه لا يأتيه أحد مسلما إلا رده إليهم.
- وأن بني بكر في صلحهم وخزاعة في صلحه صلى الله عليه وسلم.
- وأن لايدخل مكة إلا من عام قابل.

ثم قام بنحر هديه، وحلق، ورجع صلى الله عليه وسلم ونزلت سورة الفتح: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾[٣٥]. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: لما نزلت ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك**﴾ إلى قوله ﴿**فوزا عظيما**﴾ في مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبه (أي

(٣٢) خ: ٢٧٣١.
(٣٣) ح: ٢٣٧١، ٢٧٣٢.
(٣٤) عبدالوهاب: ٣٨١.
(٣٥) سورة الفتح ٤٨: ١٨.

الصحابة) وقد نحر الهدى بالحديبية فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا»(٣٦).

النوم حتى طلوع الشمس: -

وفي أثناء عودتهم من الحديبيه(٣٧)، نام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة حتى طلعت الشمس، فانتقل صلى الله عليه وسلم من مكانه وصلى بالناس قضاء ثم طلب الماء، فحصلت إحدى المعجزات مع أعرابية. فعن عمران بن حصين: كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأنا لا ندرى مايحدث له في نومه. فلما استيقظ عمر ورأي ما أصاب الناس - وكان رجلا جليدا (أي قوى الصوت) - فكبر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي صلى الله عليه وسلم، فلما استيقظ شكوا إليه الذى أصابهم، قال: لا ضير ارتحلوا. فارتحل، فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودى بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم، قال: مامنعك يافلان أن تصلى مع القوم؟ قال: أصابتني جنابة ولا ماء. قال: عليك بالصعيد (أي التيمم)، فإنه يكفيك. ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلانا ودعا عليا فقال: اذهبا فابتغيا الماء، فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين (قربتين) من ماء على بعير لها فقالا لها: أين الماء؟ قالت عهدى بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوفا (أي أن رجالها تخلفوا لطلب الماء). قالا لها: انطلقى إذا. قالت: إلى أين ؟ قالا: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: الذى يقال له الصابئ. قالا: هو الذى

(٣٦) م: ١٧٦/٥ والآيات من سورة الفتح ٤٨: ١-٥.

(٣٧) خلافا لابن هشام الذي يرى إن هذا حدث عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من خيبر.

تعنين، فانطلقى. فجاءا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث. قال: فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين وأوكأ (أي ربط) أفواههما وأطلق العزالى (مصب الماء) ونودى في الناس: اسقوا واستقوا. فسقى من شاء واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناء من ماء قال: اذهب فأفرغه عليك. وهي قائمة تنظر إلى مايفعل بمائها. وايم الله لقد اقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاة منها حين ابتدأ فيها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اجمعوا لها. فجمعوا لها - من بين عجوة ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها طعاما، فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: تعلمين مارزئنا من مائك شيئا (أي مانقصنا)، ولكن الله هو الذى أسقانا. فأتت أهلها وقد احتبست عنهم. قالوا: ماحبسك يافلانة ؟ قالت: العجب، لقينى رجلان فذهبا بى إلى هذا الذى يقال له الصابئ، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه - وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء تعنى السماء والأرض - أو إنه لرسول الله حقا. فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم (الخيام المجتمعة) التى هي منهم. فقالت يوما لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدا (مراعاة للصحبة اليسيرة)، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام[٣٨].

الارتداد في الدين: -

وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أصحابه الارتداد في الدين من بعده، فكان يسعى دائما إلى وعظهم في ذلك. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا ثم قال **(كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين)**. ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم. ألا وإنه يجاء برجال من

---

(٣٨) خ: ٣٤٤.

أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح (**وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم**) فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»[٣٩].

يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة:-

وأتى أبو هريرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقال: يارسول الله، أصابني الجهد (أي شدة الجوع). فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار (وهو أبو طلحة) فقال: أنا يارسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا (أي لا تدخرى شيئا عنه). فقالت: والله ما عندى إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالى فأطفيء السراج ونطوى بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلانة وفلانة، فأنزل الله تعالى ﴿**والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[٤٠]. والخصاصة هي الفاقة أو الحاجة. وضحك الله سبحانه وتعالى علامة رضاه عما عملوا والرضا من مقدمات الرحمة منه سبحانه وتعالى.

عقوبة المعتدين:-

وقد قدم في ذى القعدة من السنة السادسة بعض القبائل، فأصابتهم حمى المدينة، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا خارجها وأعطاهم من الإبل

---

(٣٩) خ: ٤٦٢٥ والآيات من سورة المائدة ٥: ١١٧.

(٤٠) خ: ٤٨٨٩ والآيات من سورة الحشر ٥٩: ٩.

ليشربوا منها، فغدروا وقتلوا الراعى، فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبض عليهم وعقابهم. فعن أنس قال: قدم أناس من عكل - أو عرينة - (قبيلة من العرب) [فبايعوه على الإسلام] فاجتووا المدينة (أي تضرروا بالإقامة فيها)، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا. فلما صحُّوا قتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم، واستاقوا النعم. فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم سرية من عشرين رجلا على رأسهم كرز بن جابر الفهرى. فلما ارتفع النهار جيء بهم، فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم (أي فقئت) وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون [ونبذوا في الشمس حتى ماتوا] (٤١).

رحمته بمن مات:-

وماتت إحدى النساء التى تنظف المسجد ودفنت دون علم الرسول صلى الله عليه وسلم، فعاتبهم على عدم إعلامه ثم ذهب إلى قبرها ودعا لها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن امرأة سوداء كانت تَقُمّ المسجد (أي تنظف المسجد) - أو شابا - ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها، أو عنه، فقالوا: مات، (ماتت) قال: «أفلا كنتم آذنتموني ؟» قال: فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: " دلوني على قبرها»، (قبره) فدلوه فصلى عليها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم، بصلاتي عليهم» (٤٢). وكان صلى الله عليه وسلم يقول «المسلم إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله (**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة**)» (٤٣).

ومن منتهي رحمته صلى الله عليه وسلم، أنه خرج من إحدى مزارع المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبرهما، فرق لهما، فوضع عليهما جريدا من

---

(٤١) خ: ٢٣٣ و م: ٥/١٠١-١٠٢ وما بين القوسين المربعين لمسلم.
(٤٢) م: ٥٦/٣.
(٤٣) خ: ٢١٦.

النخل. فعن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة - أو مكة - فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى (أي إنه لكبير)، كان أحدهما لايستتر من بوله (أي لا يتحفظ من البول)، وكان الآخر يمشى بالنميمة. ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة. فقيل له: يارسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما مالم تيبسا»(٤٤).

خيبر: -

وفي السنة السابعة في المحرم منها: افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بعد أن حاصرهم بضع عشرة ليلة. ثم قسم أموالهم نصفين، نصفا لنوائبه (لحوادث الدهر وحاجاته صلى الله عليه وسلم)، ونصفا بين المسلمين. فعن أنس «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا - وكان إذا أتى قوما بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم (آلة الحرث) ومكاتلهم (قفة لنقل التراب)، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس (أي الجيش). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين»(٤٥).

وأعطى الراية لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه ليفتح حصون خيبر. فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم (أي باتوا في اختلاط واختلاف)، أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبي طالب؟ فقيل: هو يارسول الله يشتكى عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه

---

(٤٤) خ: ٢١٦.
(٤٥) خ: ٤١٩٧.

ودعا له خيراً حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال على: يارسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: انفذ على رسلك (أي امض على هيأتك) حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٤٦].

وقدم عليه جعفر فيمن بقي من مهاجرة الحبشة رضي الله عنهم فأسهم لهم. وكان صلى الله عليه وسلم يعتنق القادم من السفر ويقبله إذا كان من أهله كما فعل مع جعفر رضي الله عنه[٤٧].

قدوم الأشعريين: -

وقدم الأشعريون وفيهم أبو موسى الأشعرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم: «إنى لأعرف أصوات رفقة (أي الجماعة) الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم (أي اسم علم على رجل منهم) إذا لقى الخيل - أو قال: العدو - قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم»[٤٨]. وفي ذلك مدح للأشعريين وجمعهم بين شدة العبادة من صلاتهم بالليل وفرط الشجاعة حتى إن الرجل منهم إذا لقى العدو منفردا لا يفر، بل يواجههم ويطلب منهم البقاء إذا ارادوا الانصراف حتى يحضر قومه لمحاربتهم[٤٩]. كما مدحهم صلى الله عليه وسلم بقوله «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماكان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم منى وأنا منهم»[٥٠].

---

(٤٦) خ: ٤٢١٠.
(٤٧) زاد المعاد: ٨٩.
(٤٨) خ: ٤٢٣٢ وكذلك م: ٧/ ١٧١.
(٤٩) فتح الباري: ٧/ ٤٨٧.
(٥٠) م: ٧/ ١٧١.

وأهدت إليه اليهودية الشاة المصلية (أي المشوية) المسمومة، فأخبره الذراع بذلك. وقد استمر أثر السم فيه عليه الصلاة والسلام، حتى كان له أثر واضح في أعلى حلقه، كما قال أنس رضي الله عنه. وفي اثناء قدومهم على خيبر كان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله. قال رجل من القوم: وجبت لولا أمتعتنا به، فرجع سيف عامر على نفسه فمات رحمه الله. فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي. قال: مالك؟ قلت له: فداك أبي وأمي، يزعمون أن عامرا (عم سلمة) حبط عمله (لقتله نفسه خطأ بالسيف). قال النبي صلى الله عليه وسلم: كذب من قاله، إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد (أي جاد في أمره ومجاهد لأعداء الله)، قل عربي مشى بها مثله (من المدح)[٥١]. فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه لما رأي مافي سلمة من الهم والشحوب في الوجه فبادره بالسؤال والاستفسار ثم أجابه صلى الله عليه وسلم بما سرى عن سلمة ومدح عامرا.

شرب الخمر من أحد الصحابة: -

وحدث في غزوة خيبر، أن أحد الصحابة وهو عبدالله الحمار، وجد زقا (من الخمر) في أحد الحصون فشرب منه، فأمر صلى الله عليه وسلم بجلده. فعن عمر ابن الخطاب: أن رجلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبدالله وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر مايؤتى به. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنوه، فوالله ماعلمت إلا إنه يحب الله ورسوله[٥٢]. وكان عبدالله هذا ممن يحبهم صلى الله عليه وسلم، وكان يُهدي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العكة

(٥١) خ: ٤١٩٦.
(٥٢) خ: ٦٧٨.

من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه، جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعط هذا متاعه، فما يزيد صلى الله عليه وسلم أن يبتسم ويأمر به فيعطى. وفي هذا الحديث بيان لسعة رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ولو كانت كبيرة كشرب الخمر[٥٣].

كان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويهتم بهم ويرفع من شأنهم ويثني على مافعلوه من الخير وما هم فيه من الفضل. فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك **(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)**. قال: وسماني قال: نعم. قال: فبكى[٥٤]. وكان بكاؤه استصغارا لنفسه لهذه النعمة وسرورا بفضل الله عليه وتزايد النعمة بقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الآيات عليه.

الرجوع من خيبر: -

وأثناء رجوعهم من خيبر، ارتفعت أصواتهم بالتكبير فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى خفض أصواتهم. فعن أبي موسى قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير. قال: فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم (أي ارفقوا على أنفسكم واخفضوا أصواتكم)، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنما تدعون سميعا قريبا وهو معكم، ثم قال: ياعبدالله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يارسول الله. قال: قل لاحول ولا قوة إلا بالله[٥٥].

وأثناء عودته سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدابة هو وزوجته صفية،

---

(٥٣) فتح الباري: ١٢/٧٧.
(٥٤) م: ١٦/٢٠ والآيات من سورة البينة ٩٨: ١.
(٥٥) م: ٨/٧٣ و خ: ٦٦١٠.

فلما بادره أصحابه بالمساعدة أوصاهم بمساعدة زوجته أولا رفقا بالنساء ومن شدة رحمته بهنّ. فعن أنس بن مالك أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم صفية مردفها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة، فصرع (أي سقط) النبي صلى الله عليه وسلم والمرأة، وأن أبا طلحة - قال: أحسبه اقتحم عن بعيره، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يانبي الله جعلني الله فداك، هل أصابك من شيء ؟ قال: لا، ولكن عليكم بالمرأة، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما فركبا فسارا، حتى إذا كانوا بظهر المدينة - أو قال أشرفوا على المدينة - قال النبي صلى الله عليه وسلم: آيبون، تائبون، عابدون لربنا حامدون، فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة. وعندما بدا له أحد قال صلى الله عليه وسلم. «هذا جبل يحبنا ونحبه». فلما أشرف على المدينة قال: اللهم إني أحرِّم مابين جبليها مثل ماحرم به إبراهيم مكة. اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصاعهم»(٥٦).

وبعد رجوعهم، شكت فاطمة رضي الله عنها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المشقة التي تواجهها في البيت فأمرها بكثرة الذكر. فعن علي - كرم الله وجهه - « أن فاطمة عليها السلام أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ماتلقى في يدها من الرحى - وبلغها أنه جاءه رقيق - فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة. فلما جاء أخبرته عائشة. قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم فقال: على مكانكما. فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني. فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما - أو أويتما إلى فراشكما - فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». قال علي: فما تركتها بعد. قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين(٥٧).

(٥٦) خ: ٦١٨٥ و خ: ٢٨٨٩.
(٥٧) خ: ٥٣٦١ و ٥٣٦٢.

الرسائل إلى الملوك والأمراء :-

وفي محرم من السنة السابعة، أرسل صلى الله عليه وسلم بكتبه إلى ملوك الأقاليم ومنهم: عبدالله بن حذافة السهمي بعثه بكتابه إلى كسرى فمزقه، فدعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق[٥٨]. ومنهم حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس[٥٩]. وبعث دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه بكتابه إلى قيصر وختمه وكان صلى الله عليه وسلم لا يختم الكتاب قبل ذلك. فعن أنس بن مالك قال: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا: إنهم لايقرأون (أو لا يقبلون) كتابا إلا مختوما، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة وكأني أنظر إلى وبيصه (أي لمعانه) ونقشه محمد رسول الله[٦٠]. وقد لبس الخاتم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، حتى وقع من عثمان رضي الله عنه وقيل من غيره في بئر أريس في مزرعة بالقرب من مسجد قباء.

أبو سفيان وحديثه مع هرقل :-

وعندما وصل دحية إلى هرقل كان أبو سفيان هناك، فاستدعاه قيصر فسأله عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم وشرائع دينه، فأخبره أبو سفيان بها. فاعترف قيصر بنبوته صلى الله عليه وسلم، ولم يوفق للإسلام، لمعارضة أعوانه له فكان في ذلك شقاؤه، فوقع الإسلام من يومئذ في قلب أبي سفيان.

---

(٥٨) خ: ٢٩٣٩.

(٥٩) وحاطب كان يعتبر من الخطباء المبرزين في الجاهلية، فتوسم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة فأرسله إلى المقوقس ونجح في مهمته كما يبدو من الحادثة التالية. فقد قال المقوقس عندما جاءه حاطب، قال له: إني سأكلمك بكلام وأحب أن تفهمه مني. قلت: نعم، هلم. قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبي؟ قلت: بلى، هو رسول الله. قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه. قال حاطب: عيسى، أليس تشهد أنه رسول الله، ما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه إليه إلى السماء. قال المقوقس: أنت حكيم جاء من عند حكيم (الذهبي: ٢/ ٥١٢).

(٦٠) خ: ٧١٦٢.

فعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي. وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر وهو بإيلياء (مدينة القدس). فلما جاء قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين قرأه: التمسوا لي هاهنا أحداً من قومه لأسألهم عنه. قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارا في المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش. قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه. فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج وإذا حوله عظماء الروم فقال لترجمانه سلهم: أيهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان فقلت: أنا [أقربهم إليه نسبا ليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيرى]. فقال قيصر: أدنوه مني وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهرى. ودعا بترجمانه فقال له: قل لهم (لأصحابه) إني سائل عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي فإن كذب فكذبوه. فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا أن يؤثروا عليّ الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم ؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب. قال: فهل قال هذا القول أحد قط منكم قبله. قلت: لا. فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال. قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك. قلت: لا. قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة لدينه؟. قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن الآن في مدة لا ندرى ماهو صانع فيها. قال أبو سفيان: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه أنتقصه به لا أخاف أن تؤثر عنى. قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان حربه وحربكم؟ قلت: كانت دولا وسجالا، يدال علينا مرة وندال عليه أخرى. قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد أباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

تفسير قيصر لأسئلته :-

فقال لترجمانه حين قلت ذلك له قل له : إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل أحد منكم قال هذا القول قبله قلت: لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت: رجل يأتم (أي يقتدى) بقول قد قيل قبله، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك: هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد. وسألتك: هل يغدر فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لايغدرون. وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم ؟ فزعمت: أن قد فعل وأن حربه وحربكم تكون سجالا ودولا، ويدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة. وسألتك: بم يأمركم؟ فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وهذه صفة نبي، وقد كنت أظن أنه خارج ولكن لم أظن أنه منكم. وإن يك ماقلت حقا، فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتكلفت لقيّه ولو كنت عنده لغسلت قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ كتابه، فارتفعت الأصوات عنده[٦١]. قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا أدرى ماذا قالوا وأمر بنا فأخرجنا. قال أبو سفيان «قلت لأصحابي

---

(٦١) خ: ٤٥٥٣.

حين أخرجنا لقد أمِر أمر ابن أبي كبشة(٦٢)، إنه يخافه ملك بني الأصفر(٦٣). قال أبو سفيان: والله مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام(٦٤) (وأنا كاره). يقول الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت. فقال: عليّ بهم. فدعا بهم فقال: إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا.

تذكيره ببعث النار:-

وكان صلى الله عليه وسلم يتخلل أصحابه بالموعظة يوما بعد يوم. وقال لهم مرة: إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم(٦٥). وحدثهم مرة عن بعث النار، ففزع الصحابة، فبشرهم بفضل الله سبحانه وتعالى. فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال: فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يارسول الله وأينا ذاك الرجل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل، قال: والذى نفس محمد بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة، فحمدنا الله تعالى وكبرنا، ثم قال: والذى نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذى نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم

---

(٦٢) ذكر النووي أن أبا كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأصنام، فنسبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه لاشتراكهم في مطلق المخالفة لدين قريش.

(٦٣) أي الروم.

(٦٤) خ: ٤٥٥٣ و م: ٥/ ١٦٤-١٦٦.

(٦٥) حديث صحيح من ص ج ص: ١٥٨٦.

في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار»[٦٦].

وفي السنة السابعة، في رجب منها، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين، وفد عبد القيس ورئيسهم الأشج. فلما دخلوا عليه قال: مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، وأمرهم ونهاهم ثم قال للأشج: إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة[٦٧]. وكانت قريتهم في البحرين، وهي أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة[٦٨]. وكان صلى الله عليه وسلم قد ذكر في فضل يوم الجمعة «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، وإن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء»[٦٩].

وفيها، جاء رجل من أهل البادية يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة يحبون مقدمهم (أي الأعراب) لسؤالهم للرسول صلى الله عليه وسلم ولأنهم (أي الصحابة) كانوا لا يسألونه. فعن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس (كناية عن عدم التمشيط) يسمع دوي صوته ولا يفقه مايقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وصيام رمضان. قال: هل على غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق[٧٠].

---

(٦٦) م: ٣/٩٧-٩٨.
(٦٧) م: ١/٣٥-٣٦. والحلم هو العقل والأناة التثبت وترك العجلة.
(٦٨) خ: ٤٣٧١.
(٦٩) حديث صحيح من ص ج ص: ٢٢٠٨.
(٧٠) خ: ٤٦.

ساعة وساعة: -

وبدا لبعض الصحابة أنه لا بد من الاجتهاد في العبادة والانقطاع عن الدنيا، فوعظهم صلى الله عليه وسلم وبين لهم الصراط المستقيم والتوازن القويم. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط (أي نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أي وجدوها قليله)، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٧١]. وفي الحديث حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على معرفة أحوال الصحابة وما ينتابهم من أمور الخير وشدة العبادة مع حرصه على بيان سنته لهم في شدة العبادة مع التنعم بالطيبات. كما فيه بيان أن العلم بالله ومعرفة مايجب في حقه هي أعظم قدرا من العبادة البدنية. كما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى أن يكونوا خير الناس لأهلهم فقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[٧٢].

وفي حادثة أخرى، اشتكى أحد الصحابة من تغير نفسه عند مجالسته لأهله، فذكره صلى الله عليه وسلم بالتوازن المطلوب من المسلم. فعن حنظلة الأسيدي (وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: لقيني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ماتقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٧١) خ: ٤٣٧١.

(٧٢) حديث صحيح من ص ج ص: ٣٣٠٩.

يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين[٧٣]، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر الصديق حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يارسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما ذاك»؟ قلت: يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات[٧٤].

الطاعة في المعروف:-

وفي ربيع الآخر سنة سبع، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية لمقابلة بعض المشركين، وأمرهم أميرهم (لغضبه عليهم) بالدخول إلى نار مشتعلة فترددوا، فبين الرسول صلى الله عليه وسلم إنما الطاعة في المعروف، فكانوا لصدقهم نجاهم الله، ومن صدق مع الله وقاه الله ومن توكل على الله كفاه الله. فعن على رضي الله عنه قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. فغضب فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لى حطبا، فجمعوا. فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها. فقال: ادخلوها، فهموا. وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار. فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو دخلوها ماخرجوا منها إلى يوم القيامة. والطاعة في المعروف [وقال للآخرين قولا حسنا، وقال: لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف][٧٥].

(٧٣) أي كأننا نراها أمامنا.

(٧٤) م: ٨/ ٩٤-٩٥.

(٧٥) خ: ٤٣٤٠ و م:٦/ ١٥ وما بين القوسين المربعين لمسلم.

عمرة القضاء: -

وفي ذي القعدة من السنة السابعة: اعتمر صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وأقام بمكة ثلاثا ثم رجع. فتزوج صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث الهلالية، أم المؤمنين، رضي الله عنها. وعندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، قال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شرا. فأطلع الله نبيه على ماقالوه، فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين. فلما رأوهم رملوا. قالوا: هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمي وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد منا. ولما انقضى الأجل، أتت قريش عليا، فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم.

وعظه لأصحابه منفردين: -

وكان صلى الله عليه وسلم يغتنم كل فرصة ليعظ ويحث أصحابه على الخير والذكر والشهادة. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: «يامعاذ بن جبل. قلت: «لبيك يارسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ بن جبل. قلت: لبيك يارسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ بن جبل. قلت: لبيك يارسول الله وسعديك، قال: «هل تدرى ماحق الله على العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة، ثم قال: يامعاذ بن جبل، قلت: لبيك يارسول الله وسعديك. قال: «هل تدرى ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ «قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم»[٧٦]. وأخذ مرة بمنكب ابن عمر وقال له: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن

---

(٧٦) م: ٤٣/١.

حياتك لموتك»[٧٧]. وشعرصلى الله عليه وسلم بأن أبا سعيد الخدرى يحب الغنم والصحراء، فقال له صلى الله عليه وسلم: إنى أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة[٧٨].

حرص زوجاته على الحديث معه: -

وفي إحدى السفرات، غيرت عائشة بعيرها مع حفصة - رضي الله عنهما -، بعدما شوقتها حفصة إلى ركوبه والنظر إلى مالم تكن تنظر إليه من قبل، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعير عائشة ظانا أنها فيه، فتحدث مع حفصة ولم يتحدث مع عائشة، فندمت على ذلك، فدعت على نفسها بالموت من شدة الغيرة. فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فطارت القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيرى وأركب بعيرك تنظرين وأنظر، فقالت: بلى. فركبت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر (الحشائش) وتقول: رب سلط علي عقربا أو حية تلدغني ولا أستطيع أن أقول له شيئا» (أي للرسول صلى الله عليه وسلم)[٧٩]. وقد احتالت حفصة على عائشة - رضي الله عنهما - حتى تفوز بمسايرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وانظر إلى شدة غيرة عائشة عندما لم تفز بمسايرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة، فدعت على نفسها بالموت.

الضعفة من النساء: -

ومن حسن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم اهتمامه حتى بالضعفة من النساء ومنهن أم خالد واسمها أمة بنت خالد بن العاص وهي أم خالد بن الزبير بن العوام.

---

(٧٧) خ: ٦٤١٦.
(٧٨) خ: ٣٢٩٦.
(٧٩) خ: ٥٢١١.

وأم خالد ولدت في الحبشة في هجرة أبيها إلى هناك وقدمت إلى المدينة من الحبشة بعد غزوة خيبر. فعن «أم خالد بنت خالد (أم خالد بن الزبير بن العوام) قالت: أتى النبي بثياب فيها خميصة (ثياب خز أو صوف معلمة) سوداء صغيرة فقال: من ترون أن نكسو هذه؟ فسكت القوم. قال: ائتوني بأم خالد، فأتى بها تحمل (من صغر سنها)، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أبلى وأخلقى (ويعنى الدعاء لها بطول العمر). وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه (وسناه بالحبشية يعنى حسن). وفي رواية فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني (أي نهاني) أبى. فقال صلى الله عليه وسلم: دعها»[٨٠] وفي الحديث ممازحة الرسول صلى الله عليه وسلم للصغار وتركهم يعبثون، إذا لم يترتب على ذلك ضرر. وكان صلى الله عليه وسلم متواضعا وبعيدا عن الكبر كما قال أنس بن مالك «كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت»[٨١]. كما كان صلى الله عليه وسلم، يعاشر أصحابه ويجلس معهم ويغمس يده في آنيتهم، طلبا لبركته صلى الله عليه وسلم. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة، جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها» [٨٢].

شدة جوع الصحابة: -

وكان من شدة جوع الصحابة، أن أحدهم ليربط على بطنه الحجر من شدة الجوع وكان منهم أبو هريرة رضي الله عنه. وقد خرج مرة طلبا لما يسد جوعه، فتعرف على حاله صلى الله عليه وسلم ودعاه لشرب قدح من لبن وبارك الله في هذا القدح حتى أطعم أهل الصفة جميعهم. فعن أبي هريرة كان يقول «الله الذى لا

(٨٠) خ: ٥٨٢٣.
(٨١) خ: ٦٠٧٢.
(٨٢) م: ٧/٧٩.

إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال يا أبا هر (من تبسطه صلى الله عليه وسلم)، قلت: لبيك رسول الله، قال: الحق، ومضى. فتبعته، فدخل فاستأذن لى، فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا أهداه لك فلان - أو فلانة - قال: أبا هر، قلت لبيك يارسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى. قال (أي أبو هريرة): وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يارسول الله، قال خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروَى، ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد رَوِى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر، قلت: لبيك يارسول الله. قال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يارسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا والذى بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا. قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة»[٨٣].

---

(٨٣) خ: ٦٤٥٢.

وسعى أبو هريرة إلى دعوة أمه - وكانت مشركة - فتأبى عليه فدعاها يوما، قال أبو هريرة: فأسمعتنى في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيته وأنا أبكى، فقلت: يارسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام، فكانت تأبى على وإنى دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعو الله عز وجل أن يهدى أم أبي هريرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرج أبو هريرة يعدو ليبشرها. فوجدها قد اغتسلت ثم دعت بالشهادتين. فرجع أبو هريرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى من الفرح كما كان يبكى من الحزن(٨٤).

بكاء جذع النخلة: -

وفي السنة السابعة للهجرة، اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من قبل يخطب إلى جذع، فحن إليه جذع النخلة كما في حديث الجذع المشهور. ففي الصحيحين: عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم قالوا: كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار من الإبل حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن. وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد (من البكاء) لشدة خواره. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا بكى لما فقد من ذكر الله تعالى. وقال: والذى نفسي بيده ولو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم: بكت (أي النخلة) على ماكانت تسمع من الذكر. ثم أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر(٨٥). وكان الحسن البصرى رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: ياعباد الله، الخشبة تحن شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فارقها، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر إحدى نساء الأنصار بأن تطلب من غلامها النجار أن يبنى المنبر حتى يجلس عليه حين يكلم الناس(٨٦).

---

(٨٤) م: ٧/ ١٦٥-١٦٦.
(٨٥) خ: ٢٠٩٥ و٣٥٨٣.
(٨٦) خ: ٩١٧.

رقص الحبشة في المسجد:-

وبعد قدوم وفد الحبشة سنة سبع، قاموا يلعبون في المسجد ويرقصون رقصات الحرب، فكان صلى الله عليه وسلم من لطفه، يستر عائشة بردائه ويجعلها تنظر إليهم حتى يدخل في نفسها السرور ولا تمل. فعن عائشة رضي الله عنها قالت «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد [فأقامني وراءه خدي على خده ويقول: دونكم بني أرفدة]، حتى أكون أنا التى أسام. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو». وفي رواية أخرى "حتى إذا مللت. قال: حسبك؟ قلت: نعم قال: اذهبي"[٨٧]. ودخل عليهما مرة أبو بكر رضي الله عنه (أي على الرسول صلى الله عليه وسلم وابنته عائشة) وعند عائشة جاريتان في أيام منى تضربان بالدف والنبي صلى الله عليه وسلم متغط بثوبه فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد[٨٨]. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد دخل المسجد بينما الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم، فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها (أي رماهم) فقال صلى الله عليه وسلم: دعهم ياعمر[٨٩]. وكان عمر بن الخطاب يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي الحبشة يلعبون ولكنه استحيا أن يمنعهم، فأنكر عليهم ذلك فمنعه صلى الله عليه وسلم.

هجرة عمرو بن العاص وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم:-

وفي السنة الثامنة من صفر هاجر عمرو بن العاص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة[٩٠]. وفي ذلك يتذكر عمرو لقاءه

---

(٨٧) خ: ٥٢٣٦ وما بين القوسين من خ: ٢٠٩٧ وكذلك خ: ٩٥٠ و م: ٢٢/٣.
(٨٨) خ: ٣٥٢٩. و م: ٢٢/٣.
(٨٩) خ: ٢٩٠١.
(٩٠) القسطلاني: ٥٤٧/١.

مع الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه له حال دنو أجله؟ فعن ابن شماسة المهري قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلا، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل مانعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاثة (أحوال ثلاثة)، لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أبسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، فقبضت يدي، قال: مالك ياعمرو ؟ قال: قلت أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت ياعمرو أن الإسلام يهدم ماكان قبله، وأن الهجرة تهدم ماكان قبلها، وأن الحج يهدم ماكان قبله؟ وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا (أي فرقوا التراب) ثم أقيموا حول قبري قدر ماتنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»[٩١].

غزوة مؤتة :-

في السنة الثامنة، في جمادى الأولى منها، كانت غزوة مؤتة، وهي قرية من قرى البلقاء من أرض الشام فأكرم الله فيها جعفرا وزيدا وابن رواحة وجماعة رضي الله عنهم بالشهادة. وكان صلى الله عليه وسلم قد نعى جعفرا وزيدا قبل أن يجيء

---

(٩١) م: ١/٧٨-٧٩.

(٩٢) خ: ٣٠٦٣ و٣٦٣٠.

خبرهما وقال: مايسرني [أو قال مايسرهم] أنهم عندنا وإن عينيه لتذرفان(٩٢). ثم أخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله على يديه، وانحاز بالمسلمين، وكانوا ثلاثة آلاف. وكان هرقل ملك الروم في مائتي ألف. وقد تأثر صلى الله عليه وسلم من وفاة الثلاثة، لأن زيد بن حارثة كان من أحب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقدمهم إسلاما وكان لا يبعثه صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليها. وكان يحبه ويقدمه وكذلك كان يحب ويقدم ابنه أسامه حتى إن بنى مخزوم استشفعوا به في حادثة المرأة المخزومية التى أقيم عليها الحد (٩٣).

وعندما ودع المسلمون هؤلاء الثلاثة، بكى ابن رواحة فقالوا: مايبكيك؟ فقال: أما والله مابى من حب للدنيا ولا صبابة إليها ولكن سمعت الله يقول **«وإن منكم إلا واردها»**، فلست أدرى كيف لي بالصدر بعد الورود(٩٤). وكانت نفس ابن رواحة قد ترددت بعد وفاة صاحبيه في قتالهم للروم فجعل يحثها ويقول:-

يانفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

ثم أعطاه ابن عم له عرق لحم فنهش منه نهشة ثم سمع قتال الناس، فالقاه من يده ثم قاتل فقتل.

وفي جمادى الآخرة من السنة الثامنة، بعث صلى الله عليه وسلم، عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا فمنعهم، فكلموا أبا بكر فكلمه في ذلك فقال: لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها. قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى

---

(٩٣) ومن تعظيم عمر بن عبدالعزيز لمن يحبه صلى الله عليه وسلم وتكريمه له، أنه عندما دخلت عليه فاطمة بنت أسامة بن زيد، قام لها ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه، وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها (القاضي العياض: ٢/ ١١١).

(٩٤) سيرة ابن هشام ٣/ ٤: ٣٧٤ والذهبي ٢/ ٤٨٠ والآيات من سورة مريم: ١٩: ٧١.

عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد(٩٥). وحدثت عمرو نفسه بإن الرسول لم يبعثه في هذه الغزوة إلا لمنزلته عنده ولذلك أراد أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم. فلما أتاه عمرو سأله: «أي الناس أحب إليك ؟ قال: عائشة. قلت من الرجال؟ قال: أبوها قلت ثم من؟ قال: عمر فعد رجالا، فسكتُّ (أي عمرو) مخافة أن يجعلني في آخرهم»(٩٦).

رقة فؤاده: -

وكان صلى الله عليه وسلم من أرق الناس فؤادا وخاصة عندما يتمثل لنفسه الطاهرة أهوال يوم القيامة وشدة الحال فيها بالشهادة على أمته. فعن عبدالله بن مسعود قال «قال لى النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي، قلت: يارسول الله آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم [إني اشتهي أن أسمعه من غيرى]، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية (**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**). قال: حسبك الآن [أو أمسك]، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان»(٩٧). وقد بكى صلى الله عليه وسلم حتى اخضلت لحيته، رحمة على أمته، لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم وبعضهم قد لا يكون عمله مقبولا مما يفضى إلى تعذيبهم، أعاذنا الله من النار وأهوال يوم القيامة.

وبينما هو عائد من سمره مع أبي بكر يوما، استمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة عبدالله بن مسعود وهو قائم يصلى في المسجد فقال: من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد. قال عمر: قلت والله لأغدون عليه فلأبشرنه. قال: فغدوت عليه فبشرته فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا والله ماسابقته إلى خير قط إلا سبقنى إليه(٩٨). وهذا من عظم محبة الصحابة لبعضهم بعضا.

---

(٩٥) رواه ابن حبان.

(٩٦) خ: ٤٣٥٨.

(٩٧) خ: ٥٠٥٥ والآيات من سورة النساء ٤: ٤١ وهو موافقة لقوله تعالى (**إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**) أي شاهدا بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب ومنذرا عدوه بالعذاب.

(٩٨) الحديث صحيح أخرجه أبو يعلى وأحمد والبزار والطبراني.

السابقون السابقون:-

وقد أتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم. قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[٩٩]. وهو مصداق لقوله تعالى ﴿السابقون السابقون، أولئك المقربون﴾. وجاء على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كل من الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو (وهما من كبار رجالات قريش ولكنهما ممن أسلم بعد الفتح) فجلسا عنده وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر، فيقول: هاهنا يا سهيل، ها هنا يا حارث فينحيهما عنهم، فجعل الأنصار يأتون فينحيهم كذلك حتى صارا في آخر الناس، فلما خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل: ألم تر ما صنع بنا؟ فقال سهيل: أيها الرجل، لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دعى القوم فأسرعوا ودعينا فأبطأنا. فلما قام مَن عند عمر أتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، قد رأينا ما فعلت اليوم وعلمنا أنا أتينا من أنفسنا، فهل شيء نستدرك به؟ فقال لهما: لا أعلم إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام فماتا بها[١٠٠].

---

(٩٩) م: ١٦/٦٦.

(١٠٠) الكاندهلوي: ١/٤٦٢.

الفصل السادس:

الفتح المبين وكمال الدين

وفي رمضان من السنة الثامنة، كان فتح مكة بسبب نقض الصلح بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش. وسبب انتقاض الصلح أن قريشا أعانت حلفاءهم بني بكر على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم أبو سفيان المدينة يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم صلحا، فلم يجبه إليه، فرجع وقدم عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي يستنصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش فأجابه وتجهز النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة في عشرة آلاف. فلما بلغ الجحفة على ثلاث مراحل من المدينه لقيه عمه العباس رضي الله عنه مهاجرا بأهله فرده معه. وكان قد أسلم بعد بدر. واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يقيم بمكة على سقاية الحاج، فأذن له، ولقيه أيضا ابن عمه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب قد أقبل مسلما، معتذرا مما كان جرى منه، فرده معه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وصف أبا سفيان بن الحارث بقوله: «أبو سفيان بن الحارث، خير أهلي»[1]. وأخذ الله العيون على قريش بدعوته صلى الله عليه وسلم فلم يشعرها أحد بخروجه صلى الله عليه وسلم إليهم. فلما بلغ مر الظهران أدركت العباس الرقة على قومه. فركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه ليخبرهم أن يأخذوا أمانا منه صلى الله عليه وسلم فلقى أبا سفيان صخر ابن حرب في نفر من قريش خرجوا يتطلعون ويتحسسون الخبر، وذلك في الليل، فردهم إلى مكة وأتي بأبي سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم

(١) حديث حسن من ص ج ص: ٥٢، وكان أبو سفيان رفيقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وأخوه من الرضاعة ويألفه الفا شديدا، فلما بعث عاداه وهجاه وسيأتي صدق توبة أبي سفيان بن الحارث في موقعة حنين حيث كان ممسكا بناقة النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم قد سأله: من هذا الذى يمسك بعنان الناقة، فقال أبو سفيان: أنا ابن أمك يا رسول الله. وأبو سفيان ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدتهم واحدة، ومرضعتهم واحدة، ولذلك قال له أنا ابن أمك.

أصبح صلى الله عليه وسلم فدخل مكة ضحى من أعلاها، وذلك لعشر بقين من رمضان[٢].

ابتلاء أحد الصحابة: -

وقبيل الفتح، ابتلى وامتحن حاطب بن أبي بلتعة[٣] - رضي الله عنه - بإعلام كفار قريش بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم. فعن أبي عوانة عن حصين عن فلان قال تنازع أبو عبد الرحمن السلمي وحبان بن عطية (على تفضيل علي ابن أبي طالب على عثمان رضي الله عنهما)، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت ما الذى جرأ صاحبك على الدماء - يعنى عليا (على القتال) - قال: ماهو لا أبا لك؟[٤] قال: شيء سمعته يقول. قال ماهو؟ قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وأبا مرثد - وكلنا فارس - قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج (مكان قريب من المدينة والأرجح روضة خاخ) - فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها. فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسير على بعير لها، وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. فقلنا: أين الكتاب الذى معك؟ قالت: مامعى كتاب. فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا. فقال صاحباي: مانرى معها كتابا، قال فقلت: لقد علمنا ماكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حلف على: والذى يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك (أي أنزع ثيابك). فأهوت إلى حجزتها - وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يارسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعنى فأضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياحاطب ماحملك على ماصنعت؟ قال: يارسول الله، مالى أن لا أكون مؤمنا بالله

---

(٢) ح: ٤٢٨، ٤٢٩٨ و م :٥/١٧٠-١٧٢.

(٣) وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة ويعتبر من الحكماء النابهين وأرسله صلى الله عليه وسلم إلى مقوقس الإسكندرية، فأحسن السفارة والدعوة إلى الله (الاصابه : ٣١٤/١).

(٤) لفظ يطلق في موضع استبعاد مايصدر عن المخاطب من قول أو فعل.

ورسوله، ولكنى أردت أن يكون لى عند القوم يد يدفع بها عن أهلى ومالي، وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: صدق، لا تقولوا له إلا خيرا. قال فعاد عمر فقال: يارسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعنى فلأضرب عنقه. قال: أو ليس من أهل بدر؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال: اعملوا ماشئتم فقد أوجبت لكم الجنة [أو غفرت لكم] فاغرورقت عيناه (أي عمر) فقال: الله ورسوله أعلم»[٥]. وقد اغرورقت عيناه رضي الله عنه سرورا بغفران ماتقدم لأهل بدر وهو منهم وكذلك ندم وخشوع على ماقاله في حق حاطب، وإصراره وكثرة مراجعته للرسول صلى الله عليه وسلم.

الفتح المبين: -

ودخل صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام وهو راكب راحلته منكس رأسه تواضعا لله تعالى حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة الرحل فطاف بالبيت سبعا، راكبا يستلم الركن بمحجن في يده.

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مثبتة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بعود في يده ويقول: (**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**)[٦] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه. فلما فرغ من الطواف، دخل البيت ثم صلى ركعتين.

ثم قام: صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة - وقريش قد ملأت المسجد ينتظرون مايفعل بهم - وقال: لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. ثم قال: يامعشر قريش ماترون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن عم كريم وقد قدرت. فقال: اذهبوا فأنتم طلق؛ لا تثريب عليكم اليوم يغفر لكم وهو أرحم الراحمين.

---

(٥) خ : ٦٩٣٩.

(٦) سورة الإسراء : ٨١/١٧ والحديث في خ : ٤٢٨٧.

ثم قال: يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾**[٧]. فسأله العباس أن يجمع له سدانة البيت إلى السقاية، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾**[٨] فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان وشيبة (وهم سدنة الكعبة) فأعطاهما المفتاح وقال: خذاها خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم[٩] كما قال لعثمان: هاك مفتاحك، اليوم يوم بر ووفاء[١٠]. وهذا من كريم الوفاء منه صلى الله عليه وسلم، لأن عثمان كان قد منع الرسول صلى الله عليه وسلم من دخول الكعبة قبيل هجرته ونال منه، فحلم عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك عندما قال له صلى الله عليه وسلم: يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت. فقال عثمان: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال صلى الله عليه وسلم: بل عمرت وعزت يومئذ[١١].

فلما أصبح الناس من غد، قام فيهم خطيبا فقال صلى الله عليه وسلم «إن مكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد منكم الغائب»[١٢].

وعندما أعطى الأمان صلى الله عليه وسلم لقريش، قالت الأنصار بعضها لبعض: أما الرجل (أي الرسول صلى الله عليه وسلم) فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته. ويقول

---

(٧) سورة الحجرات: ١٣/٤٩.
(٨) سورة النساء: ٥٨/٤.
(٩) فتح البارى: ١٩/٨.
(١٠) ابن هشام: ٣-٤١٢/٤.
(١١) الطبقات لابن سعد نقلا من القسطلاني: ٥٨٧/١.
(١٢) خ: ١٨٣٢ و م: ١١٠/٤-١١١.

أبو هريرة راوى الحديث: فجاء الوحى، وكان إذا جاء الوحى لايخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينقضي الوحى، فلما انقضى الوحى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الأنصار. قالوا: لبيك يارسول الله. قال: قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته. قالوا: قد كان ذاك. قال: كلا، إنى عبدالله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم. فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ماقلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله (أي الحرص عليهم). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم»[١٣].

سرقة المرأة المخزومية:-

وفي غزوة الفتح، سرقت المرأة المخزومية، فسعى الناس إلى حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسامة بن زيد، ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فغضب صلى الله عليه وسلم لذلك. فعن عروة بن الزبير « أن امرأة سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه. قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتكلمني في حد من حدود الله؟ قال أسامة: استغفر لى يارسول الله. فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذى نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها. فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة: فكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»[١٤]. وكانت هذه المرأة تأخذ المتاع والحلى ثم تجحد أنها أخذته.

---

(١٣) م: ٥/١٧٠-١٧٢.

(١٤) خ: ٤٣٠٤.

البيعة وهند بنت عتبة :-

ثم اجتمع الناس لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة ما استطاعوا. وكان ممن بايع هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد جاءته متخفية، فعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: اعف عما سلف يانبي الله عفا الله عنك. ثم قال صلى الله عليه وسلم لهن: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ثم قال: ولا تزنين. فقالت هند: أو تزنى الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت: ربيناهم صغارا وقتلوهم كبارا، فأنتم وهم أعلم (وكان ابنها حنظلة قد قتل ببدر) فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: ولا يأتين ببهتان، فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: «ولا يعصينك في معروف». فقالت: والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك(١٥).
وكانت هند قد أتت الرسول صلى الله عليه وسلم تستأذنه في الأخذ من مال أبي سفيان لأنه كان بخيلا، فقالت له: يارسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء (أي الخيمة) أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك. فقال: وأيضا والذى نفسى بيده(١٦) (أي تصديق لما ذكرت وستزيد المحبة أيضا).

غزوة حنين :-

وكان مدة إقامته - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد الفتح نحو ثمانية عشر يوما وكان يقصر فيها الصلاة. ثم بلغه أن هوازن اجتمعت لحربه في أربعة آلاف عليهم مالك بن عوف النصرى فخرج إليهم صلى الله عليه وسلم لعشرين من شوال في

(١٥) ابن الاثير : ١ / ٦١٩ والطبرى : ٦٢/٣.
(١٦) خ : ٣٨٢٥.

عشرة آلاف من جيش الفتح وألفين ممن أسلم يوم الفتح وكانوا اثنى عشر ألفا. فأعجبتهم كثرتهم فقالوا لن نغلب اليوم من قلة، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا، ووجدوا المشركين قد كمنوا لهم في شعاب حنين وهو واد بين مكة والطائف. فلما توسط المسلمون فيه شدوا عليهم ورشقوهم بالنبل، وكانوا رماة، فانهزم المسلمون وثبت النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة، فنزل عن بغلته وأخذ كفا من الحصى فرمي به في وجوه المشركين فانهزموا ونصر الله المسلمين فغنموا ذراريهم وأموالهم، وكانوا قد جعلوهم معهم ليقاتلوا دونهم، فانهزم منهم طائفة عليهم دريد بن الصمة. وساقوا المال والذراري فأدركهم أبو عامر الأشعري في سرية بأوطاس فهزمهم بعد أن قتل أبو عامر رضي الله عنه ولحق أكثرهم بالطائف فتوجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وقاتلهم قتالا شديدا وحاصرهم بضعا وعشرين ليلة فلم يظفر بهم فدعا لهم بالهداية، ورجع فأتوه بعد رجوعه إلى المدينة مسلمين على يد مالك بن عوف النصري.

شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:-

وحول معركة حنين وفرار الصحابة، قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين. قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ولقد رأيته على بغلته البيضاء وإن (ابن عمه) أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب — أنا ابن عبد المطلب[(١٧)]

فما رئي في الناس يومئذ أشد منه. فعن العباس رضي الله عنه، أنه لما انهزم المسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس ناد أصحاب السمرة (أي أهل بيعة الرضوان) وكان العباس صيتا (قوى الصوت). قال: فناديت فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة فقالوا: يالبيك يالبيك، فوالله لكأنما عطفتهم

(١٧) خ: ٤٣١٦، ٤٣١٧ و م: ١٦٨/٥.

حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فاقتتلوا هم والكفار فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم فقال: هذا حين حمي الوطيس(١٨). فانظر إلى شجاعته صلى الله عليه وسلم وافتخاره في ساحة الحرب وتعريضه صلى الله عليه وسلم نفسه للهلاك في سبيل الله وكيف أعلم عن نفسه في أشد القتال لشدة شجاعته وعدم المبالاة بالعدو ويقينه بالله ونصره. وقال البراء: كنا والله إذا احمر الباس نتقى به وإن الشجاع منا للذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم(١٩). ثم أخذ صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوه الكفار وقال: شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا امتلأت عيناه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين، فهزمهم الله - عز وجل -(٢٠). وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾(٢١).

ولما رأي انهزام الناس، جاء شيبة بن عثمان ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم من خلفه أخذا بثأر أهله، فأقبل عليه فضربه صلى الله عليه وسلم في صدره وقال له: قاتل الكفار، فقاتلهم حتى انهزموا(٢٢). وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار يسعى إلى الأخذ بثأر أبيه الذى قتل في أحد، فلما أراد ذلك تغشى فؤاده شيء فلم يطق ذلك وعلم إنه ممنوع عليه(٢٣).

نصرة الدين بالرجل الفاجر: -

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لرجل ممن يدعى بالإسلام: هذا من أهل النار. فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحه فقيل: يارسول الله الرجل الذى قلت له آنفا إنه من

---

(١٨) م :٥/١٦٧.
(١٩) م : ٥/١٦٨.
(٢٠) م : ٥/١٦٩.
(٢١) سورة التوبة : ٩/٢٥.
(٢٢) فتح البارى : ٨/٣٠.
(٢٣) ابن هشام : ٣-٤/٤٤٤.

أهل النار، فإنه قاتل قتالا شديدا وقد مات. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلى النار. فكاد بعض المسلمين أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراحا شديدا فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. فقال: الله أكبر أشهد أني عبدالله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى في الناس أنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. وفيها قال صلى الله عليه وسلم " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[٢٤].

محاصرة الطائف وقسمة سبي هوازن:-

ثم قام صلى الله عليه وسلم بمحاصرة الطائف فأستعصت عليه واشتد الأمر على أصحابه فتركها. فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم الطائف فلم ينل منهم شيئا، قال: إنا قافلون غدا إن شاء الله تعالى، فثقل ذلك على أصحابه وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ فقال: اغدوا على القتال فغدوا، فأصابهم جراح فقال: إنا قافلون غدا إن شاءالله تعالي فأعجبهم، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم[٢٥] من سرعة تغيير رأيهم لما أصابتهم الجراح.

وأثناء مروره بسبي هوازن، رأي منظرا لأم من السبي ترضع ابنها، فضرب لهم مثلا لرحمة الله الواسعة. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، تحلب ثديها تسقى (أي تتهيأ لأن ترضع)، إذ وجدت صبيا في السبى (أي إبنها) فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٢٦]. فانظر إلى سعة رحمة الله التى لا يشبهها شيء حتى وسعت جميع

---

(٢٤) م :١٢٢/٢ وم :١٢٤/٢.
(٢٥) خ : ٤٣٢٥ و م :١٦٩/٥.
(٢٦) خ : ٥٩٩٩ و م : ٩٧/٨.

الكائنات (**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**)[٢٧]. ويوضح ذلك حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا [أخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة] وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»، وهو مصداق لقوله تعالى ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**﴾[٢٨]. كما قال صلى الله عليه وسلم «ولو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد.»[٢٩].

لما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل بالجعرانة فقسم بها غنائم حنين وأعطى جماعة من الرؤساء يتألف قلوبهم مائة مائة من الإبل، منهم من قريش، أبو سفيان بن حرب و صفوان بن أمية، ومن غير قريش، عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس. وعندما أعطى صفوان مئة من الابل، قال: والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى أنه أحب الناس إلي[٣٠]. وأعطى العباس بن مرداس الشاعر، خمسين من الإبل فسخطها إذ لم يجعله كعيينة بن حصن و الأقرع بن حابس. ولما قسم هذه المقاسم وأعطى العطايا شرهت أنفس الأعراب وجفاة العرب مع ضعف إيمانهم حينئذ إلى المال فألحوا عليه صلى الله عليه وسلم السؤال حتى اضطروه إلى سمرة (شجرة ذات ورق) فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه (أي شجرة ذات الشوك) نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا[٣١]. كما

---

(٢٧) سورة الاعراف ٧ : ١٥٦.

(٢٨) خ : ٦٠٠. وما بين القوسين م :٩٦/٨ والايات من سورة الاحزاب ٣٣ : ٤٣.

(٢٩) م : ٩٧/٨.

(٣٠) م ٧٥/٧.

(٣١) خ : ٢٨٢١.

قال أحد الأعراب «والله إن هذه القسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله»، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم «يرحم الله موسى، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر»[٣٢].

وجْد الأنصار على رسول الله :-

وكان صلى الله عليه وسلم وكل الأنصار إلى إيمانهم فلم يعطهم من هذه المغانم شيئا فوجدوا وجداً شديداً، فوقع في أنفسهم مالم يقع قبل ذلك.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم جمعهم وخطبهم واعتذر إليهم حتى طابت أنفسهم. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن ناسا من الأنصار قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أموال هوازن ما أفاء فطفق يعطى رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقالت الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم أحدا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ماكان حديث بلغني عنكم؟ قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يارسول الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويترك الأنصار وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أعطى رجالا حديثي عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله ماتنقلبون به خير مما ينقلبون به. ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادى الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار (أي أنتم بطانتي وأقرب إلى من الثوب)، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم. قالوا: يارسول الله قد رضينا. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ستجدون اثره

(٣٢) خ : ٤٣٣٦ و م : ٧٣٩/٢.

شديدا، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فإني على الحوض»[٣٣]. وعن رواية ابن هشام إنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: يامعشر الأنصار، ماقالة بلغتني عنكم وجدة (أي عتاب) وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة (أي فقراء) فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم. قالوا: بلى يارسول الله، أمن (أي من المنة) وأفضل. ثم قال: ألا تجيبوني يامعشر الأنصار ؟ قالوا بماذا نجيبك يارسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك. أوجدتم يامعشر الأنصار في أنفسكم لعاعة (نعيم الدنيا) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم» ثم دعا لهم بالخير[٣٤].

وأتته أيضا أمه وأخته من الرضاعة حليمة السعدية وبنتها الشيماء فبسط لهما رداءه وأجلسهما عليه ورق لهما - صلى الله عليه وسلم -[٣٥]. وجاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال. فقالوا إنا نختار سبينا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مايفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيبنا ذلك يارسول الله[٣٦].

وكان صلى الله عليه وسلم قد قسم غنائم حنين بالجعرانة على مرحلتين من مكة وذلك لما قفل صلى الله عليه وسلم من الطائف ثم أحرم منها بعمرة وذلك في ذى القعدة.

---

(٣٣) خ: ٣١٤٧، ٤٣٣٠، ٤٣٢١ فقال أنس بعد ذلك: فلم نصبر (أي الأنصار).
(٣٤) ابن هشام: ٣-٤/٤٩٩.
(٣٥) الادب المفرد: ٥٤٨/٢.
(٣٦) خ: ٤٣١٨، ٤٣١٩.

حبه للقاء الله :-

وبدأ صلى الله عليه وسلم يشير إلى حبه للقاء الله وقرب أجله، فوعظ أصحابه حول هذا الأمر. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»، فقلت: يانبي الله، أكراهية الموت؟ فكلنا يكرة الموت. قال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه». وفي رواية عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»، قال: فأتيت عائشة. فقلت: يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا إن كان كذلك فقد هلكنا. فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وليس منا أحد، إلا وهو يكره الموت، فقالت: قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بالذى تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(٣٧).

كما جاء بعد الفتح وفد طيئ وفيهم عدى بن حاتم. وكانت صدقة طيئ أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه أصحابه(٣٨). ويصدق ذلك قول عمر بن الخطاب لعدى بن حاتم عندما حاول أن يعَرف نفسه عند عمر في خلافته فقال «أتينا عمر في وفد، فجعل يدعو رجلا رجلا ويسميهم. فقلت: أما تعرفنى يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا. فقال عدى: فلا أبالى

(٣٧) م :٨/٦٥-٦٦.
(٣٨) م : ٧/١٨٠.

إذا»[٣٩]. وفيها إشارة إلى جواز ذكر المحاسن حال الوفاء، حيث إن عدي وقومه حافظوا على إسلامهم بعد الردة ومنع قومه منها، كما وفى بالصدقة عند الردة.

رفقه بالمساكين:-

وكان صلى الله عليه وسلم قريبا من المساكين ورفيقا بهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت يارسول الله، قال: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال: «هل تجد ماتعتق رقبة؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا»، قال: «فهل تجد ماتطعم ستين مسكينا؟» قال: لا. قال: ثم جلس، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق (وهو الزنبيل) فيه تمر، فقال: «تصدق بهذا». قال: أفقر منا؟ فما بين لابتيها (أي مابين الحرتين أو في المدينة كلها) أهل بيت أحوج إليه منا. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثم قال: « اذهب فأطعمه أهلك»[٤٠].

وجاءه بعض الأعراب وهم حفاة عراة وعليهم آثار العوز، فتمعر (أي تغير) وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأي بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى، ثم خطب فقال **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾** إلى أخر الآية **﴿ إن الله كان عليكم رقيبا ﴾**. والآية التى في سورة الحشر **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد﴾**، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة (أي كأنه فضة مموهة بالذهب من شدة سروره).

---

(٣٩) خ: ٤٣٩٤.

(٤٠) م: ١٣٩/٣ و خ: ١٩٣٦.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٤١).

ولادة وموت ابنه إبراهيم:-

وقد ولد له صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة ولد، في ذى الحجة وأسماه إبراهيم وقيل عاش حتى ربيع الأول في العاشرة ثم مات. وقد دفعه صلى الله عليه وسلم إلى امرأة يقال لها أم سيف وكان صلى الله عليه وسلم يأتيه فيضمه إليه(٤٢). وإن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه في مرضه فوجده يجود بنفسه فجعلت عيناه تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يارسول الله. فقال: ياابن عوف إنها رحمة جعلها الله في قلوب عباده ثم قال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا مايرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون(٤٣). وقال صلى الله عليه وسلم: إن له مرضعا في الجنة(٤٤)، كرامة للرسول صلى الله عليه وسلم حتى يكمل فطامه لأنه مات وعمره ستة عشر شهرا.

وانكسفت الشمس يوم موته وذلك وقت الضحى، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وصلى صلاة الكسوف فأطال فيها حتى انجلت ثم خطب الناس فحثهم على الصدقة والعتق، وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا. ثم قال: يا أمة محمد، والله مامن

(٤١) م: ٨٦/٣-٨٧.
(٤٢) م: ٧٦/٧-٧٧.
(٤٣) خ: ١٣٢٣.
(٤٤) خ: ١٤٥/٤.

أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته. يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»[٤٥] فبكى الناس فأوحى الله عز وجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا محمد لم تقنط عبادي؟ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشروا وسددوا وقاربوا»[٤٦].

في المحرم من السنة التاسعة، أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن لغزو بني تميم وذلك لاعتدائهم على حلفائه خزاعة، فأصابوا منهم ناسا وسبوا منهم سباء، فجاء رؤساؤهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف أبو بكر وعمر على من يؤمرون عليهم في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فارتفعت أصواتهم، فنزل قوله تعالى ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾[٤٧]. وكان أبو هريرة يحب بني تميم لثلاث سمعهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم أشد أمتي على الدجال وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل، وجاءت صدقاتهم فقال صلى الله عليه وسلم: هذه صدقات «قوم أو قومي»[٤٨].

حبه صلى الله عليه وسلم لأبي بكر:-

وكان صلى الله عليه وسلم يحب أبا بكر، فخاصمه عمر مرة، فغضب صلى الله عليه وسلم لأبي بكر. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر (قال البخاري: أي سبق بالخير وقيل أي دخل في غمرة الخصومة)، فسلم وقال: يارسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء (أي محاورة)، فأسرعت إليه (أي أغضبته) ثم ندمت، فسألته أن

(٤٥) خ: ١٠٤٤.
(٤٦) الادب المفرد: ٢٥٥/١.
(٤٧) خ: ٤٣٦٧ والآيات من سورة الحجرات ٤٩: ١.
(٤٨) خ: ٤٣٦٦.

يغفر لى فأبي على، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثا). ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر (أي يحمر ويتغير من الغضب) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يارسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبي؟ (مرتين)، فما أوذي بعدها»[٤٩]. فانظر إلى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وتعظيمه إياه على أصحابه جميعهم وانظر كذلك إلى فضل أبي بكر وحبه لعمر حتى جثا أمام الرسول صلى الله عليه وسلم خشية أن يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمر مايكره.

مما يدل على عظم محبة أبي بكر - رضي الله عنه - لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ما حدث عند زيارته لأبيه إبان خلافته رضي الله عنه. فقد زار أبو بكر أباه عندما اعتمر في رجب سنة اثنى عشر، فقام أبوه إليه، فقال له أبو بكر: يا أبه لا تقم، ثم التزمه وقبل بين عينيه. وجاء والى مكة عتاب بن أسيد ومعه سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه وقالوا: السلام عليك يا خليفة رسول الله، فجعل أبو بكر يبكى حين يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال أبوه لأبي بكر: ياعتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم. فقال أبو بكر: يا أبه لا حول ولا قوة إلا بالله، طوقت عظيما من الأمر لا قوة لى به ولا يدان إلا بالله. وقال للملأ وللناس: هل من أحد يتشكى ظلامه؟ فما أتاه أحد[٥٠].

تذكيره لامرأة بالصبر عند الموت:-

وذكّر صلى الله عليه وسلم امرأة بالصبر عند فقدها لولدها، فردته عليه فتركها رحمة بها. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة

(٤٩) خ: ٣٦٦١.
(٥٠) صفة الصفوة: ٢٥٩.

تبكى على صبي لها، فقال لها: «اتقي الله واصبرى»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها مثل الموت (من الفزع أن تكون عصت أمر رسول الله)، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يارسول الله لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند أول صدمة» أو قال: «عند أول الصدمة»[٥١]. وفي الحديث تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع من أصيب بمصيبة موت أحد أقاربه وبيان أن كمال الصبر وحسنه الذى يحمد عليه الإنسان، هو عند مفاجأة المصيبة. كما أن فيها بيانا لقرب الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس، فلم يكن هناك حجاب أو بوابون عند بابه.

وماتت أم كلثوم رضي الله عنها، زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة تسع من الهجرة، وصلى عليها صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة بن زيد، «ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال أنس: فرأيت عينيه تدمعان، قال، فقال: هل منكم رجل لم يقارف الليلة (أي لم يلامس زوجته)؟ فقال: أبو طلحة: أنا قال: فانزل. قال: فنزل في قبرها»[٥٢]. فزادت أحزانه صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يعظهم عن الموت عند الجنازة. فعن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. فقالوا: يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾**[٥٣].

---

(٥١) م: ٣/٤٠ و خ: ١٢٨٣.

(٥٢) خ: ١٢٨٥.

(٥٣) خ ٤٩٤٩ والايات من سورة الليل ٩٢ : ٥-١٠.

ابتعادهم عما يؤذيه :-

وكان الصحابة من حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبتعدون عما يؤذيه، كما كان صلى الله عليه وسلم من حبه وشفقته عليهم، يتفقدهم إذا غابوا. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت، أشتكى؟ (أي مرض) »فقال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة»[٥٤] ولما انهزم المسلمون في اليمامة، قال ثابت: أف لهؤلاء وما يعبدون (أي المرتدين) وأف لهؤلاء وما يصنعون (أي المسلمين)، فأقبل على القتال وقد لبس الحنوط، فثبت حتى قتل[٥٥].

عطاء من لا يخشى الفقر :-

وكان صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفقر. فقد سأله رجل غنما بين جبلين (من كثرتها)، فأعطاه إياه، فأتي قومه، فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليعطى عطاء ما يخاف الفقر. ويقول أنس راوى الحديث في ذلك: إن كان الرجل ليسلم مايريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[٥٦].

---

(٥٤) م : ٧٧/١ وخ :٣٦١٣ والآيات من سورة الحجرات ٤٩: ٢.
(٥٥) فتح البارى : ٦ /٦٢١.
(٥٦) م : ٧/٧٤-٧٥.

وتفكر مرة في صلاته في ذهب من الصدقة، فأسرع بعد انتهاء الصلاة فقسمه. فعن عقبة قال: صليت وراء النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة العصر، فسلم، ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته (أي خافوا من نزول شيء يسوءهم)، فخرج عليهم فرأي أنهم عجبوا من سرعته فقال: ذكرت شيئا من تبر (من الصدقة) عندنا، فكرهت أن يحبسنى (أي يشغلني التفكير فيه)، فأمرت بقسمته[٥٧].

وكان صلى الله عليه وسلم يذكرهم دائما بفتنة المال فقال لهم يوما «اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب»[٥٨].

وعظ النساء:-

وكان صلى الله عليه وسلم لايقتصر في وعظه وتذكيره على الرجال، بل كان يتخلل بموعظته النساء أيضا. فعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: أيها الناس، تصدقوا. فمر على النساء فقال: يامعشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقلن: وبم ذلك يارسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، مارأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يامعشر النساء. ثم انصرف، فلما صار إلى منزله جاءت زينب أمرأة ابن مسعود تستأذن عليه، فقيل: يارسول الله،

(٥٧) خ: ٨٥١. يقول ابن القيم «وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تتزاحم عليه الخواطر في مرضات الرب تعالى فربما استعملها في صلاته فكان يجهز جيشه وهو في صلاته فيكون قد جمع بين الصلاة والجهاد» (الجواب الكافي: ١١٠) وهذا باب من أبواب تداخل العبادات في العبادة الواحدة وهو من باب عزيز شريف لا يدخل منه إلا صادق حاذق الطلب متضلع في العلم عالي الهمة بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

(٥٨) حديث صحيح من ص ج ص: ١٣٨.

هذه زينب. فقال: أي الزيانب؟ فقيل: امرأة ابن مسعود. قال: نعم، ائذنوا لها، فأذن لها. قالت: يانبي الله، إنك أمرت اليوم بالصدقة، وكان عندى حلى لى فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم»(٥٩). وكانت إحدى الصحابيات قد جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله إنا لا نقدر عليك في مجالسك، فواعدنا يوما نأتك فيه. فقال: موعدكن بيت فلان فجاءهن لذلك الوعد، ووعظهن. وكان فيما حدثهن «أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجابا من النار، فقالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان»(٦٠).

وكان الصحابة والصحابيات يهدونه صلى الله عليه وسلم ماتجود به أنفسهم من الهدايا وكان لايرد صلى الله عليه وسلم من طلب هذه الهدايا. فعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ببردة - فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها. فقالت: يارسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يارسول الله، ما أحسن هذه، فاكسنيها. فقال: نعم. فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن فيها(٦١). وكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه جابر رضي الله عنه «ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال: لا»(٦٢).

---

(٥٩) خ: ١٤٢٦. و م: ٨٠/٣.
(٦٠) خ: ١٢٤٨ و م: ٣٩/٨ وانظر في الادب المفرد: ١٧٠/١.
(٦١) خ: ٦٠٣٦.
(٦٢) م: ٧٤/٧.

لفظ الأرض لمن كذبه :-

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ماكتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه[٦٣] (أي تركوه منبوذا دون دفن).

قدوم الوفود :-

وفي السنة التاسعة دخل الناس في دين الله أفواجا كما أخبر الله بذلك، وجعله علما على وفاته صلى الله عليه وسلم، كما أخبر الله سبحانه تعالى **﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾**[٦٤]

ووفدت عليه الوفود، فمنهم وفد بني حنيفة ومنهم وفد نجران وكانوا نصارى فحاجوه في عيسى عليه السلام ونزلت آية المباهلة (أي الملاعنة).

ومن هؤلاء جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: علمني كلاما أقوله. قال: «قل لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم». قال: فهؤلاء لربي، فمالي؟ قال: «اللهم اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني»[٦٥].

وكذلك وفد عليه جماعة من الأعراب الفقراء فرق لحالهم صلى الله عليه وسلم. فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله

---

(٦٣) خ : ٣٦١٧.

(٦٤) سورة النصر ١١٠: ١ - ٣.

(٦٥) م :٨/٧٠.

عليه وسلم عليهم الصوف، فرأي سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطأوا عنه حتى رئي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق (فضة)، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[٦٦].

غنى القلب من غلام: -

ومن هؤلاء وفد بني يدى أو وفد تجيب وهم من السكون، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضيافتهم وإجازتهم، فلما أجازهم قال لهم: هل بقى منكم من أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا، قال: أرسلوه إلينا. فجاء الغلام فقال: يارسول الله، إن حاجتى ليست كحاجة أصحابي، إنى والله ماحملني من بلادى إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمنى ويجعل غنائي في قلبي، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: اللهم إغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه[٦٧]. فلما وافاهم في حجة الوداع سألهم عنه وقال: الحمد لله إنى لأرجو أن يموت جميعا. فقال رجل منهم: أو ليس الرجل يموت جميعا يارسول الله؟ فقال رسول الله: تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله في أيها هلك. فعاش الرجل على أحسن حال، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم، ذكر قومه بالإسلام فلم يرتد منهم أحد وكان أبو بكر الصديق يسأل عنه ويوصى به.

إمامة الصغير: -

وكانت العرب تترقب غلبة الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه، حتى يعلنوا إسلامهم، فلما كان عام الفتح، بادرت العرب إلى إعلان إسلامها. ويدل على ذلك

---

(٦٦) م: ٨/٦١.
(٦٧) القسطلاني: ٢/٢٠٠-٢٠١.

حديث عمرو بن سلمة التالي. قال لى أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله؟ قال: فلقيته فسألته فقال (أي عمرو بن سلمة): كنا بممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس، ما للناس؟ ماهذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى اليه، أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يقر في صدرى، وكان العرب تلوّم (أي تنتظر) بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق. فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبادر أبى وقومى بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقا، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا، فنظروا، فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت على بردة كنت إذا سجدت تقلصت عنى (أي ظهرت عورته)، فقالت أمرأة من الحى: ألا تغطون عنا است قارئكم (عورة الرجل من الخلف)، فاشتروا، فقطعوا لى قميصا، فما فرحت بشيء فرحى بذلك القميص»[٦٨]. فانظر إلى حرص عمرو بن سلمه وحفظه للقرآن من أفواه الذين يمرون بقبيلته من الركبان – الذين يعودون من المدينة – حتى حفظ جزءا كبيرا منه.

سوء الظن: -

وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على أصحابه أن لا يقذف الشيطان في قلوبهم، ما يهلكون به من خلال التحرز من التعرض لسوء الظن. فعن على بن الحسين رضي الله عنهما «أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره (ليلا) في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها (أي يوصلها إلى بيتها)، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما

(٦٨) خ: ٤٣٠٢.

النبي صلى الله عليه وسلم: على رِسلكما، إنما هي صفية بنت حيى (أي إنها زوجتي). فقالا: سبحان الله يارسول الله، وكبر عليهما (أي تعجبا وكبر ذلك عليهما)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإنى خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»(٦٩).

سباق الخيل والرمى:-

وكان صلى الله عليه وسلم يحث على السباق واللهو المباح. عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بالخيل التى قد أضمرت من الحفياء (مكان خارج المدينة) وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سابق به(٧٠). وهو مصداق لقوله تعالى **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾**(٧١). كما قال صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم [والغنيمة]»(٧٢). ومر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون (أي يترامون بالسهام)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بنى فلان. قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارموا فأنا معكم جميعا»(٧٣).

---

(٦٩) خ: ٢٠٣٥.

(٧٠) م: ٣١/٦ وخ: ٢٨٦٩ والخيول الضامرة هي التى قويت بالعلف ثم قلل علفها بقدر القوت ثم تدرب على الجرى حتى يخف لحمها وتكون قادرة على الجرى والسباق. ولذلك تقدر مسافة السباق للخيول الضامرة سبعة أميال والخيل غير الضامرة والتى لم تعد للسباق ميل واحد حسب الحديث المذكور (فتح البارى: ٧٢/٦).

(٧١) سورة الانفال ٨: ٦٠.

(٧٢) خ: ٢٨٥٢ و م: ٣٢/٦.

(٧٣) خ: ٢٨٩٩.

أمين الأمة وأهل نجران :-

وفي السنة التاسعة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران فلم يقبلوا الإسلام فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة، فرفضوا وقالوا له نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا، فأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح[٧٤]. فعن حذيفة رضي الله عنه قال «قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: لأبعثن - يعني عليكم - أمينا حق أمين. فأشرف أصحابه، فبعث أبا عبيدة رضي الله عنه». كما قال صلى الله عليه وسلم «إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٧٥]. واستشراف الصحابة أي تطلعهم إلى ولاية نجران ليس لذات الولاية وإنما لحرصهم على تحصيل صفة الأمانة. وممن استشرفوا عمر رضي الله عنه حيث قال: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها فجعل عمر يتطاول حتى يراه الرسول صلى الله عليه وسلم[٧٦].

وأنذر عشيرتك الأقربين :-

وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على تذكير أزواجه أمهات المؤمنين، فقد كان يذكر أهل بيته وقرابته، بدوام ذكر الله. فعن على ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه (أي أتاه ليلا) وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليلة فقال لهما: ألا تصليان ؟ فقال على فقلت: يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئا (أي لم يرد عليه). ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول: **(وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)**[٧٧]. وكان صلى الله عليه وسلم لما أنزلت آية وأنذر عشيرتك الأقربين، دعا رسول الله صلى الله

(٧٤) خ : ٤٣٨٠.
(٧٥) خ : ٣٧٤٥ و خ : ٣٧٤٤.
(٧٦) ابن هشام : ١-٢/٥٨٤.
(٧٧) خ : ١١٢٧ والآيات من سورة الكهف ١٨ : ٥٤.

عليه وسلم قريشا، فعم وخص وأنذرهم جميعا بما فيها ابنته فاطمة وقال لها: «يافاطمة أنقذى نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا»[٧٨].

وكان كثير التذكير بالنار وشدة عذابها. فعن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النار، فأعرض وأشاح، ثم قال «اتقوا النار»، ثم أعرض وأشاح، حتى ظننا أنه كأنما ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٧٩].

الخوارج :-

وفي السنة التاسعة بعث النبي صلى الله عليه وسلم، عليا إلى اليمن، فبعث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بذهب وخص به أربعة أنفس (أي أشخاص)، فقال ذو الخويصرة وهو رأس الخوارج ماقال. فعن أبي سعيد قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبدالله بن ذى الخويصرة التميمي فقال: اعدل يارسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب: دعنى أضرب عنقه. قال: «دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وفي رواية «إن من ضئضئ هذا قوما يقرأون القرآن، لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٨٠]. وفي رواية «يأتي آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان (أي صغار السن)، سفهاء الأحلام (أي صغار العقول)، يقولون من خير قول البريه (أي القرآ ن) يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز الإيمان حناجرهم فأينما لقيتوهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة»[٨١]. ومروق السهم من الرمية، خروج سهم من الهدف أو الغرض إذا

(٧٨) م : ١٣٣/١.
(٧٩) م : ٨٦/٣.
(٨٠) حديث صحيح من ص ج ص : ٢٢٢٣.
(٨١) خ : ٦٩٣٣ و ٣٦١١.

أصابه ثم خرج منه بسرعة ومن أصلاب هؤلاء خرج الخوارج. كما قال أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: كنا نحن أحق بهذا (أي الذهب) من هؤلاء (المؤلفة قلوبهم). فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، ياتينى خبر السماء صباحا ومساء؟[٨٢].

كثرة الذكر:-

كان صلى الله عليه وسلم يدوام على تذكير أصحابه بأهمية كثرة الذكر. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم منهم: مايقول عبادي؟ قال يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك. قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا. قال يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب مارأوها. قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال فيقولون: لا والله يارب مارأوها. قال يقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»[٨٣].

ولكثرة الذكر فوائد منها قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلا ولم

---

(٨٢) خ: ٤٣٥١.

(٨٣) خ: ٦٤٠٨.

أسد فقرك»[٨٤] . وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم «حرم على عينين أن تنالهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر»[٨٥] .

اعتزال الرسول صلى الله عليه وسلم نساءه:-

وفي أول السنة التاسعة، أكثر نساء الرسول صلى الله عليه وسلم من المراجعة وكثرة الطلبات، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وفارقهن، فنزلت آية التخيير وكان صلى الله عليه وسلم عظيم الرحمة بنسائه شديد التحمل لغيرتهن، أخذا بمعاملتهن بأحسن السير.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لم أزل حريصا على أن أسال عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما :**﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾** حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى فيهما **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾**، قال: واعجبا لك ياابن عباس، هما عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث بسوقه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة (أي قرى المدينة جهة المشرق)، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء (أي نحكم عليهن ولا يحكمن علينا)، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار. فصخبت على امرأتي (أي غضبت

---

(٨٤) حديث صحيح، ص ج ص : ١٩١٠.
(٨٥) حديث حسن، ص ج ص : ٣١٣١.

ورفعت صوتي) فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعت علي ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكى؟ لا تستكثرى النبي صلى الله عليه وسلم (أي لا تطلبى منه الكثير) ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني مابدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك (أي أجمل) وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة. قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا (أي يعدون لغزونا)، فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال: أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ماهو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول. طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه [أو اعتزل النبي صلى الله عليه اسلم أزواجه] فقلت: خابت حفصة وخسرت، وقد كنت أظن هذا يوشك أن يكون[٨٦].

تلطف عمر في الاسترضاء:-

فجمعت على ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له [٨٧] فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكى، فقلت: مايبكيك، ألم أكن حذرتك هذا، أطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا أدرى، هاهو ذا معتزل في المشربة. فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكى بعضهم فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد (أي

(٨٦) وقيل إنها من الاشياء التى تكلم بها عمر ووافقه ربه. وإن كانت الثلاث التى وافق فيها عمر ربه معروفة وهي: مقام إبراهيم، وفي الحجاب وفي أسرى بدر (م: ١١٦/٧).

(٨٧) هي المكان العالى الذى يخزن فيه الطعام والمتاع.

من الهم وشغل القلب) فجئت المشربة التى فيها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال: كلمت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرتك له فصمت. فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبنى ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفا - قال: إذا الغلام يدعوني - فقال: قد أذن لك النبي صلى الله عليه وسلم. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير (أي سرير منسوج كالحصير) ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يارسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلى بصره فقال: لا. فقلت: الله أكبر [فسمعها الناس فاستبشروا خيرا]. ثم قلت وأنا قائم أستأنس (أي طلب الإذن بالحديث): يارسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قلت: يارسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاث (أي جلد غير مدبوغ)، فقلت: يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله. فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال: أوفي هذا أنت يابن الخطاب؟ إن أولئك قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا [أما ترضي أن تكون لهم الدنيا ولك الآخرة]، فقلت: يارسول الله استغفر لى[٨٨] (لجرأتى في قول هذا). فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه

---

(٨٨) خ : ١٥٩١ و م :١٩/٤، ومابين القوسين المربعين لمسلم.

من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، تسعا وعشرين ليلة، وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن (أي غضبه منهن لكثرة مطالبتهن بالنفقة وإفشاء السر والغيرة من بعضهن على بعض) حين عاتبه الله عز وجل، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يارسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا، فقال: الشهر تسع وعشرون ليلة، فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ماقالت عائشة.

وفي الحديث حرص عمر بن الخطاب والأنصارى على تحرى العلم وأن لا يفوتهم شيء منه بسبب كدهم على أولادهم واجتهادهم في طلب الرزق. كما فيه حرصه رضي الله عنه على تأديب ابنته وقرابته وإصلاحها لزوجها. وانظر كذلك إلى حرص ابن عباس - رضي الله عنه - على طلب العلم وبعد همته في ذلك. كما أن عمر حرص عندما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم مهموما، أن يحدثه بما يزيل همه ويرضي نفسه من المعاني اللطيفة والحوادث التى تجلب السرور.

شدة غيرة أزواجه :-

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتزل نساءه، عندما أفشت عائشة وحفصة قوله بل شربت عسلا. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلا، فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إنى لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير (وهو نبات أو شجر له رائحة كريهة وكان ذلك أكره شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم). فدخل على إحداهما فقالت له ذلك. فقال: لا بأس، شربت عسلا عند زينب ابنة جحش، ولن أعود له. فنزلت **﴿يأأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك . . . إلى: إن تتوبا إلى الله﴾** إشارة إلى

عائشة وحفصة **﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا﴾** إلى قوله: (بل شربت عسل)[٨٩].

وكانت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم، قد تبلغ الغيرة في إحداهن مبلغها. ولعل أقرب مثال ماورد في حديث أنس. فعنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء) فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التى كسرت فيه»[٩٠].

وكانت عائشة كثيرة الغيرة من خديجة رضي الله عنها. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة، وإن لم أدركها. قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة. قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة؟ فقال: إنى رزقت حبها»[٩١].

آخر من يدخل الجنة :-

وكان صلى الله عليه وسلم يدوام على وعظ أصحابه وتذكيرهم بالآخرة. ومن وعظه صلى الله عليه وسلم لأصحابه، ذكره لنعيم الجنة ولآخر من يدخل الجنة. فعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: آخر من يدخل الجنة فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة (أي تضربه على وجهه وتترك أثرها عليه)، فإذا ماجاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذى نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه

(٨٩) م : ١٨٤/٤ خ : ٥٢٦٧ والايات من التحريم ٦٦: ١-٥.
(٩٠) خ : ٥٢٢٥.
(٩١) م : ١٣٤/٧.

أحدا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب ماءها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتك إياها سألتنى غيرها. فيقول: لا يارب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها واستظل بظلها لا أسالك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. فيقول: لعلى إن أدنك منها تسألني غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين. فيقول: أي ربي أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. قال: بلى يارب هذه لا أسالك غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة. فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: ياابن آدم مايصريني منك؟ (أي يقطع مسئلتك عني) أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. قال: يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين. فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مما تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا: مم تضحك يارسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء منى وأنت رب العالمين. فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر[٩٢]. ثم ذكرهم صلى الله عليه وسلم بأكبر النعم من الله وهي رضاه. فعن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يارب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليك رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا[٩٣].

(٩٢) م: ٣/٤٢-٤٣.
(٩٣) خ: ٦٥٤٩.

الزهد الحقيقي :-

وكان صلى الله عليه وسلم يمر عليه الشهر ثم الشهر ولا يوقد في بيته نار[٩٤]. وما شبع صلى الله عليه وسلم من خبز حنطة حتى فارق الحياة[٩٥]. وكان يظل اليوم يلتوى مايجد دقلا (التمر الرديء) يملأ به بطنه[٩٦]. كان صلى الله عليه وسلم، يطلب الماء العذب وهو لا ينافى الزهد ولا يدخل في الترف المذموم. فعن أنس بن مالك يقول «كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وكانت مستقبل المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**[٩٧] قام أبو طلحة فقال: يارسول الله، إن الله يقول **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** وإن أحب مالى إلى بيرحاء. وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يارسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ، ذلك مال رايح - أو رابح - (أي أجره يروح إلى صاحبه أو هو كثير الربح). وقد سمعت ماقلت، وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: أفعل يارسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بنى عمه[٩٨].

حبه لابنه الحسن :-

عن أبي هريرة قال: ما رأيت حسنا قط إلا فاضت عيناي دموعا، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فوجدني في المسجد، فأخذ بيدى، فانطلقت معه، فما كلمني حتى جئنا سوق بنى قينقاع، فطاف فيه ونظر. ثم انصرف وأنا معه، حتى جئنا المسجد [حتى أتى خباء فاطمة رضي الله عنها]، فجلس حتى احتبى، ثم قال:

(٩٤) م : ٢١٨/٨.
(٩٥) م : ٢١٨/٨.
(٩٦) م : ٢٢٠/٨.
(٩٧) الآيات من سورة آل عمران ٣: ٩٢.
(٩٨) خ : ٥٦١١.

أين لكاع؟ ادع لى لكاع»[99] [يعنى حسنا رضي الله عنه، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأنها تغسله وتلبسه سخابا (قلادة من أخلاط الطيب)]، فلم يلبث أن جاء يسعى، حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه [ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يفتح فاه فيدخل فاه في فيه ثم قال «اللهم إنى أحبه، فأحبه وأحب من يحبه»[100]. وكان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشى، فرأي الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي، لا شبيه بعلى! وعلى يضحك[101]. وقال صلى الله عليه وسلم عن الحسن وقد صعد به على المنبر: ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[102].

أمهات المؤمنين وعمر بن الخطاب:-

عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش (من أزواجه) يكلمنه ويستكثرنه (أي يطلبن أكثر مما يعطيهن من النفقة)، عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال: أضحك الله سنك يارسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يارسول الله. ثم قال عمر: ياعدوات أنفسهن، أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيها ياابن الخطاب، والذى نفسى بيده، مالقيك الشيطان سالكا فجاً قط إلا سلك فجاً غير

---

(٩٩) لكاع بمعنى الصغير في لغة تميم.
(١٠٠) خ: ٢١٢٢ و ٥٨٨٤ و م: ١٣/٧. وما بين القوسين المربعين من مسلم.
(١٠١) خ: ٣٥٤٢.
(١٠٢) خ: ٣٦٢٩.

فجك»[١٠٣]. وهروب الشيطان من عمر هو من صلابته في الدين واستمراره على الجد واستمساكه بالحق. وفيه سعه رحمته صلى الله عليه وسلم ورفقه بزوجاته واحتماله لهن. ولا عجب في ذلك، أليس هو القائل صلى الله عليه وسلم «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم»[١٠٤]. وكما قال صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرا فليتكلم خيرا أو ليسكت واستوصوا بالنساء خيرا»[١٠٥].

رفقه بالشباب: -

وبينما صلى الله عليه وسلم يتجهز لتبوك قدم عليه وفد بني ليث بن بكر ومعظمهم من الشباب. ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بهم ومعرفته بحاجاتهم، أعطاهم الإذن بمغادرة المدينة للعودة إلى أهاليهم. فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رقيقا رحيما، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم[١٠٦].

غزوة تبوك: -

وفي رجب من السنة التاسعة: كانت غزوة تبوك إلى الشام لقتال الروم فخرج صلى الله عليه وسلم في جيش كبير من المسلمين وخلف على المدينة عليا رضي الله عنه فقال علي: خلفتني في الصبيان والنساء؟ فقال صلى الله عليه

---

(١٠٣) خ: ٣٦٨٣ وكذلك م: ١١٥/٧.

(١٠٤) حديث صحيح من ص ج ص: ١٢٤٣.

(١٠٥) م: ١٧٤/٤.

(١٠٦) خ: ٦٠٨ و ٦٢٨.

وسلم: ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[١٠٧]. وكانت غزوة في عسرة من الظهر (أي الدواب) والزاد والماء مع شدة الحر وطيب الثمر.

وفي هذه السنة أرسل الأشعريون، أبا موسى الأشعرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان (أي الدواب لتحملهم) لهم في جيش العسرة وهي غزوة تبوك، فقال: والله لا أحملكم على شيء (أي لا أجد شيئا أحملكم عليه) [وما عندى ما أحملكم عليه][١٠٨]. وورد في الرواية الأخرى فرجعوا يبكون فأنزل الله فيهم **﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ماينفقون﴾**[١٠٩]. يقول أبو موسى: فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادى أي عبدالله بن قيس فأجبته فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك. فلما أتيته قال: خذ هذين القرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد، فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله أو قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملكم على هؤلاء فاركبوهن فانطلقت إليهم بهن.. الخ[١١٠].

وكان عثمان بن عفان قد أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها وألف دينار، فقال صلى الله عليه وسلم «ما على عثمان ما عمل بعد اليوم»[١١١]، كما قال صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان[١١٢]. وفي ذلك أن الجهاد بالمال هو صنو الجهاد بالنفس وهو مقدم عليه في كل المواضع في القرآن ماعدا قوله تعالى **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم**

---

(١٠٧) م: ١٢٠/٧.

(١٠٨) خ: ٣١٣٣ و م: ٨٣/٥ ومابين القوسين المربعين من مسلم.

(١٠٩) سورة التوبة ٩ : ٩٢.

(١١٠) خ: ٤٣٦٧.

(١١١) فتح البارى: ٤٠٨/٥.

(١١٢) خ: ٢٧٧٨ وفتح البارى: ٥٢/٧.

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾(١١٣).

فلما بلغ تبوك وهي أدني بلاد الروم أقام بها بضع عشرة ليلة، ولم يلق عدوا، وصالح جملة من أهل تلك الناحية على الجزية. وفي غزوة تبوك عند صلاة الفجر، أهوى المغيرة بن شعبة على خفيه لينزعهما (من رعايته له صلى الله عليه وسلم) فقال له: «دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهما»(١١٤).

أجر الكلمات اليسيرة:-

وفي تبوك صلى على جنازة معاوية بن معاوية المزنى وصلى معه جبريل وصحب من الملائكة. فعن أبي أمامة الباهلي قال: «أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهو بتبوك، فقال: يامحمد، اشهد جنازة معاوية بن أبي معاوية المزنى، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل عليه السلام - في سبعين الفا من الملائكة فوضع جناحه على الجبال فتواضعت ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فتواضعت، حتى نظر إلى مكة والمدينة، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل والملائكة عليهم السلام، فلما فرغ، قال: ياجبريل، لم بلغ معاوية هذه المنزلة؟ قال: بقراءة قل هو الله احد قائما وقاعدا وراكبا وماشيا»(١١٥). ومن هذه الكلمات اليسيرة أو الأعمال القليلة ذات الأجر الوفير كلمة لا إله إلا الله. فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟

---

(١١٣) سورة التوبة ٩ : ١١١.
(١١٤) خ : ٢٠٦ وم :١/١٥٨.
(١١٥) زاد المعاد : ٣٤١.

فيقول: لا يارب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»(١١٦).

وفي عودته من تبوك وردوا العين (من الماء) وهي تبض (تسيل سيلا قليلا) بشيء، من الماء مثل الشراك (أي كسير النعل فليس لها أخدود في الأرض)، فغسل الرسول صلى الله عليه وسلم فيها وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستسقى الناس ثم قال لمعاذ رضي الله عنه: «يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا»(١١٧). ومر في عودته صلى الله عليه وسلم بأصحاب الحجر وهم قوم ثمود الذين كذبوا نبيهم صالحا، فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يستقوا من البئر وأعطى العجين الذى عجن بهذا الماء إلى الدواب وقال لهم «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ثم تقنع بردائه وهو على الرحل»(١١٨).

ثم رجع إلى المدينة وجاءه المنافقون يعتذرون إليه لتخلفهم عنه، وقد سماه الله جيش العسرة وحلفوا له بالكذب فقبل عذرهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى ففضحهم الله بما أنزل في سورة براءة.

قصة الثلاثة الذين خلفوا:-

وأما الثلاثة الذين خلفوا وصدقوه واعترفوا أنهم لا عذر لهم فجعل أمرهم إلى قضاء الله تعالى فيهم. وكان هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك

---

(١١٦) حديث صحيح من ص ج ص: ١٧٢٢.
(١١٧) م: ٧/٦٠-٦١.
(١١٨) خ: ٣٣٧٩ و ٣٣٨٠.

وهلال بن أمية ومُرارة بن الربيع فإنهم لم يتخلفوا لنفاق ولا عذر بل كسلا مع استطاعتهم، كمن ترك الصلاة كسلا فاستحقوا العذاب فعوقبوا ثم تاب الله عليهم. وكما قيل ما ألذ عتاب الأخوة فما بالك بعتاب أحب الخلق. ولقد نال هؤلاء الثلاثة من حلاوة الرضا بعد العتاب بصدقهم ماجعلهم من أهل الصلاح والفلاح.

وفي ذلك يقول كعب بن مالك رضي الله عنه: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني لم أشهد بدرا ولم يعاتب أحداً تخلف عنها ولم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقض من جهازى شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين فلم يزل يتباطأ بي الأمر حتى تباعد الغزو فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم، أحزنني أني لا أجد إلا رجلا مغموصا (مطعونا عليه في دينه) عليه النفاق (أي معيرا به) أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم: مافعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يارسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه (أي منعه حسن ملابسه والنظر فيها). فقال معاذ بن جبل: بئس ماقلت، والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما بلغني أن رسول الله قفل راجعا وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا ثم زاح عني الكذب وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه. فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. فجئته فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك. فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه

بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضي به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله. لا والله ما كان لي من عذر [والله ماكنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك]. فقال صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك. ولامني رجال من بني سلمة أن لا أكون اعتذرت بما اعتذر إليه المخلفون [قال: فوالله مازالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي]. فقلت: هل لقي هذا معي أحد. قالوا: نعم مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة(١١٩). فمضيت حين ذكروهما لي ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا - نحن الثلاثة - من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالأرض التى أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة(١٢٠). فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم (أي اصغرهم ولا يستطيع الجلوس في البيت)، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسى: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلي، وإذا التفتّ نحوه أعرض عنى. حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله مارد علي السلام. فقلت: يا أبا قتادة أنشدك الله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت. فعدت له فنشدته فسكت. فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي (من التأثر) وتوليت حتى تسورت الجدار. ثم جاءه كتاب ملك غسان (أي ملوك عرب الشام)

---

(١١٩) يرى ابن القيم أن هذا من وهم الزهرى، حيث لم يقل بإنه قد شهد بدرا، أحد من أهل المغازى (زاد المعاد: ٣/١٩).

(١٢٠) وهذا من حياة قلبه وحبه لله ورسوله وإلا الغافل والمنافق يعيش في نفس هذا الوضع ولكن القلوب غافلة أو عشش عليها الران.

فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها (أي حرقته). ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم بعد أربعين ليلة باعتزالهم النساء(١٢١).»

البشارة بالتوبة:-

ثم قال كعب بن مالك رضي الله عنه:

فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت وأنا جالس على ظهر بيتي صارخا أوفى على سلع (مكان مرتفع) يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. فخررت لله ساجدا [وعرفت أنه قد جاء الفرج]، حتى أطال كعب (السجود) وما رفع رأسه من حمد الله وما فيه من الجهد وشدة البكاء. وقد آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى لصلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فلما جاءني الذى سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ، فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئون بالتوبة ويقولون: لتهنك [لتهنئك] توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ماقام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ووجهه يبرق من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. فقلت: أمن عندك يارسول الله أم من

(١٢١) وقد يكون ذلك كعلامة وحافز للاجتهاد في العبادة حتى ينالوا رضا مولاهم. وهو كذلك يتفق مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» (ص ج ص: ١٦٢١).

عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**). فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى (**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين**)[١٢٢].

أخذ أهل الصدق بالشدة: -

وقد أخذ صلى الله عليه وسلم بالشدة مع هؤلاء الثلاثة مع أنهم لم يأكلوا حراما ولا سفكوا دما، لأن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم «إن الصالحين يشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمنا نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة»[١٢٣]. كما يدل الحديث على أنه صلى الله عليه وسلم كان يتفقد أصحابه ويسأل عنهم. وانظر إلى حبه لأصحابه مع أمره بهجرهم إلا أنه كان ينظر إلى كعب عند دخوله في الصلاة، إشفاقا عليه ورحمة به، وكذلك إلى سروره بتوبة أصحابه واستنارة وجهه كأنه القمر، من فرط حبه صلى الله عليه وسلم لأصحابه والفرح لما يسرهم. ولا عجب أن أحبه أصحابه صلى الله عليه وسلم أشد الحب. وانظر

(١٢٢) خ: ٤٤١٨ و م: ٨/١٠٦-١١٢ وما بين القوسين المربعين لمسلم والآيات من سورة التوبة ٩: ٩٥-٩٦.

(١٢٣) حديث صحيح، ص ج ص: ١٦٥٦.

إلى صدق محبة الصحابة له صلى الله عليه وسلم وأن يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، عندما أحرق كعب كتاب الملك النصراني العربي مع هجرانه من قومه، فحسم مادة الفتنة وهذا يدل على كمال محبته لله ورسوله وخاصة مع الإعراض والهجر الذى أصابه. وانظر إلى محبة الصحابة بعضهم لبعض، فأحدهم يصرخ من جبل سلع وآخر ركض بفرسه إليه وآخر بشره قولا وآخر نهض إليه يصافحه ويقبله.

وفاة ذي البجادين :-

وتوفى عبدالله ذو البجادين ودفن في تبوك وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه. فعن ابن مسعود قال: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر (أي الجيش)، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين المزنى قد مات وإذا هم حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول: أدنيا إلي أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: اللهم إنى أمسيت راضيا عنه، فارض عنه. فقال ابن مسعود: ياليتني كنت صاحب الحفرة. وسمى ذا البجادين لأنه كان يصد عن الإسلام ويضيق عليه قومه، فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه، شق بجاده اثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، فسمى ذو البجادين وكان يلزم باب الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفع صوته بالقرآن[١٢٤]. وكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه سهل بن حنيف رضي الله عنه «كان يأتى ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم»[١٢٥].

وفي عودته من تبوك أخبر أصحابه بأنه متعجل إلى المدينة فلما أشرف صلى الله

---

(١٢٤) سيرة ابن هشام ٣-٥٢٨/٤ والذهبي ٦٦١/٢.
(١٢٥) حديث صحيح من ص ج ص: ٤٧٥٣.

عليه وسلم عليها قال «هذه طابة. ولما رأي أحدا قال: هذا أحد جبل يحبنا ونحبه»[١٢٦]. ولما دنا منها قال «إن بالمدينة رجالا ماسرتم من مسير ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم، جبسهم المرض»[١٢٧].

إشفاقه على الضعفاء:-

وكان من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم، أنه كان يشفع للضعفة من الناس بما فيهم العبيد. فقد شفع صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة عندما فارقته وكان محبا لها سعيا نحو إدخال السرور إلى نفسه. عن ابن عباس «أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث، كأنى أنظر إليه يطوف خلفها [في سكك المدينة يبكى ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: ياعباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعته. قالت: يارسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع، قالت: لا حاجة لى فيه»[١٢٨]. وقد قال مرة لأصحابه: حرم على النار، كل هين لين سهل قريب من الناس[١٢٩]. وكان صلى الله عليه وسلم «يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار»[١٣٠]. وجاءته امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: «يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظرى أي السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها»[١٣١].

حب الدنيا:-

وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أصحابه حب الدنيا وكان يذكرهم

---

(١٢٦) خ: ٤٤٢٢.
(١٢٧) م: ٦/ ٤٩.
(١٢٨) خ: ٥٢٨٣.
(١٢٩) حديث صحيح من ص ج ص: ٣١٣٠.
(١٣٠) حديث صحيح عن أنس من ص ج ص: ٤٨٢١.
(١٣١) م: ٧/٧٩-٨٠.

بحقارتها ألّا يتنافسوا عليها وضرب لهم مثالا عمليا على ذلك. فعن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفيه، وفي رواية كنفتيه (جانبيه) فمر بجدي أسك (مقطوع الأذنين) ميت فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟ فقالوا: مانحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم(١٣٢). وكان يعظ أصحابه في حب الدنيا، فقال لهم مرة «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلا، ولم أسد فقرك»(١٣٣).

تفقد أصحابه :-

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه، «فبينما هو في مغزى له فأفاء الله عليه فقال: لأصحابه هل تفقدون من أحد. قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا. ثم قال: هل تفقدون من أحد. فقالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا ثم قال: هل تفقدون من أحد. قالوا: لا. قال ولكن أفقد جليبيب فاطلبوه. فطلب في القتلى فوجدوه إلى جانب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا منى وأنا منه، هذا مني وأنا منه. قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعد النبي صلى الله عليه وسم قال: فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلا »(١٣٤).

وفي رجب: نعى لهم النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي وصلى عليه في

---

(١٣٢) م : ٨/٢١٠-٢١١.

(١٣٣) حديث صحيح عن أبي هريرة من ص ج ص : ١٩١.

(١٣٤) م : ١٥٢/٧ وكان جليبيب من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيه دمامة، فحثه الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج، فقال : إذنى تجدني يارسول الله كاسدا ؟ فقال: إنك عندالله لست بكاسد. فتزوج جليبيب ودعا له صلى الله عليه وسلم فكانت زوجته أكثر نساء الأنصار مالا وانفاقا (الذهبي : ٢١٨/٢).

المصلى جماعة. فعن عمران بن حصين قال «إنه صلى الله عليه وسلم قال: إن أخاكم النجاشى توفى فقوموا فصلوا عليه، فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر أربعا وهم لايظنون إلا أن جنازته بين يديه وقال: استغفروا لأخيكم»(١٣٥).

كثرة المال: -

وكان صلى الله عليه وسلم كريما مع أصحابه وجميع الناس. فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين. فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين»؟ فقالوا: أجل يارسول الله. قال: «فأبشروا وأملوا مايسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»(١٣٦). وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه «إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ماعنده فقال: مايكون عندى من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»(١٣٧). وكان دائما

---

(١٣٥) خ: ١٣١٨، ١٣٢٧ و م: ٥٤/٣ والنجاشي (وأسمه أصحمه) هو ملك الحبشه وكان أرسل إليه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله فرد عليه بقول الشهادتين وبايعه على الإسلام.

(١٣٦) م: ٢١٢/٨ وخ: ٦٤٢٥.

(١٣٧) خ: ١٤٦٩.

(١٣٨) حديث صحيح من ص ج ص: ٢١٤٤.

يردد «إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال»(١٣٨).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا جاءه مال، وضعه في المسجد لتفريقه بين الناس، فأكثر عليه عمه العباس رضي الله عنه مرة الطلب، فتعجب صلى الله عليه وسلم من حرصه. وكان العباس طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يساعده أو يساعده أحد من الناس في أخذ أكثر مايمكن من المال، فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك. فعن أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال: انثروه في المسجد، وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه (من زهده فيه)، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحدا إلا أعطاه. إذ جاءه العباس فقال: يارسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا (عندما أسروا في غزوة بدر). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ. فحثا (أي جعل) في ثوبه، ثم ذهب يقله (أي يرفعه) فلم يستطع، فقال: يارسول الله اؤمر بعضهم يرفعه إلي. قال: لا. قال: فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه، ثم ذهب يقله فقال: يارسول الله اؤمر بعضهم يرفعه علي. قال: لا. قال: فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه. ثم احتمله فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره - حتى خفي علينا - عجبا من حرصه. فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم (أي لم يبق منه شيئا)(١٣٨). وهو مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم «ما أحب أن أحدا (أي جبل أحد) عندى ذهبا، فيأتي علي ثلاثة، وعندى منه شيء، إلا شيء أرصده في قضاء دين»(١٣٩).

التخلل بالموعظة: -

وكان صلى الله عليه وسلم كما بينا سابقا كثير التخلل لأصحابه بالموعظة، وبينما هم جلوس عنده، أخبرهم عن آخر أهل النار خروجا. فعن عبدالله بن مسعود قال:

---

(١٣٨) خ: ٤٢١.

(١٣٩) حديث صحيح عن أبي هريرة من ص ج ص: ٥٨٨٩.

قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة، رجل يخرج من النار حبوا (أي زحفا) فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فأدخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالي له اذهب فادخل الجنة. قال: فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا (أي لك الذى تمنيت وعشرة أمثالها). قال: فيقول أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك. قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه. قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[١٤٠]. ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي»[١٤١].

كان عبدالله بن مسعود يذكر الناس كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: مايمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمه علينا[١٤٢]. ومن هذه المواعظ الجليلة، موعظة احتوت على معان فريدة وصور عظيمة. فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «ياعبادى إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن

(١٤٠) م: ٣/٣٩-٤٠.
(١٤١) حديث صحيح عن أبى هريرة من ص ج ص: ١٧٥١.
(١٤٢) م: ٨/١٤٢.

تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. ياعبادي إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه(١٤٣).

الإكثار عليه من السؤال: -

كما قام صلى الله عليه وسلم خطيبا، لما أكثر الناس عليه المسألة. فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظاما، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به مادمت في مقامي هذا. قال أنس: فأكثر الأنصار البكاء، وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول سلوني، فقال أنس: فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يارسول الله؟ قال: النار. فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبي يارسول الله ؟ قال: أبوك حذافة. قال: ثم أكثر أن يقول سلونى سلونى، فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا. قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عمر ذلك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسي بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط وأنا أصلى، فلم أر كاليوم في الخير

(١٤٣) م: ٨/١٧.
(١٤٤) خ: ٧٢٩٤.
(١٤٥) خ: ٦٢١.

والشر[١٤٤]. وفي رواية أخرى فغطوا (أي الصحابة) رؤوسهم ولهم خنين[١٤٥]، وما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان أشد منه لما شاهدوا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغضب. وكان صلى الله عليه وسلم قد غضب غضبا شديدا عندما أكثر عليه الناس في السؤال عن صغائر الأمور، وفي ذلك نزل قوله تعالى **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم. قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾**[١٤٦]. وفي حجه صلى الله عليه وسلم، أكثر عليه الناس السؤال، فقال لهم: «ذروني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[١٤٧]. وكان صلى الله عليه وسلم «إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم»[١٤٨]

البراءة في الحج:-

وفي ذي القعدة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس فسار بهم، ثم أرسل بعده عليا رضي الله عنه ليبرأ من المشركين بصدر سورة براءة وذلك يوم الحج الأكبر، فنبذ إلى كل مشرك عهده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[١٤٩]، ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة فقال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان مصداقا لقوله تعالي **﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله**

(١٤٦) والايات من سورة المائدة ٥ : ١٠١ - ١٠٢.

(١٤٧) م : ١٠٢/٤.

(١٤٨) حديث صحيح عن جابر من ص ج ص : ٤٥٨٧.

(١٤٩) خ : ١٦٢٢.

بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾(١٥٠)

رفعة منزلته :

ولرسولنا صلى الله عليه وسلم منزلة عظيمة عند ربه ومقاما محمودا. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عزوجل عن إبراهيم **﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني﴾** الآية. وقال عيسى عليه السلام **(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)** فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله مايبكيه فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم. فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وفي الحديث رفعه منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه وعظم لطفه سبحانه وتعالى بأمة محمد وحب رسول الله لأمته وشفقته عليها وهو موافق لقوله تعالى **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**(١٥١).

امتحان أذهان الصحابة :-

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن أذهان الصحابة بما يخفى عليهم من العلم والفهم ويضرب الأمثال لهم لترسخ المعاني في الذهن ولتقريبها لهم. فبينما الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتى بجمار(قلب النخلة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البوادى (أي ذهبت

---

(١٥٠) سورة التوبة ٩ : ٣.

(١٥١) م : ٧٨/٣ والآيات من سورة الضحى ٩٣ : ٥.

أفكارهم إلى أشجار البادية). قال عبدالله ابن عمر: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت (لأنه كان أصغر القوم). ثم قالوا: حدثنا ماهي يارسول الله. قال: هي النخلة»[١٥٢]. قال ابن عمر: فحدثت أبي (أي عمر بن الخطاب) بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من حمر النعم. وقد تمنى عمر بن الخطاب ذلك، محبة في ولده وحرصا عليه وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة وقربا.

واتباعا لهديه صلى الله عليه وسلم، سأل عمر رضي الله عنه يوما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير آية (**أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار لها فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون**)؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال: عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله، فصرهن (أي قطعهن)[١٥٣].

غضبه لابنته:-

وعلم صلى الله عليه وسلم أن عليا خطب بنت أبي جهل على فاطمة رضي الله عنها، فغضب لابنته وانتصف لها وخاصة أن فاطمة قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد الأخرى، فلم يبق لها من تستأنس به حال الغيرة. وكانت فاطمة رضي الله عنها عندما علمت بالخبر قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحا ابنة أبي جهل».

---

(١٥٢)خ: ٦١.

(١٥٣)خ: ٤٥٣٨ والايات من سورة البقرة ٢: ٢٦٦.

فغضب صلى الله عليه وسلم لابنته وصعد المنبر. فعن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: «إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة منى يريبنى ما أرابها (أي أكرهه)، ويؤذينى ما آذاها». كما قال صلى الله عليه وسلم «فاطمة بضع مني، فمن أغضبها أغضبني»[١٥٤]. وفي رواية «وإني لست أحرم حلالا، ولا أحلل حراما، ولكن والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد» وقال أيضا «إن فاطمة مضغة منى وأكره أن يفتنوها»[١٥٥] فترك على رضي الله عنه الخطبة.

تأديبه للصبيان: -

وكان عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، في رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم وتحت نظره، فكان عمر تتحرك يده هنا وهناك في آنية الطعام، أثناء أكله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما قد يجعل النفوس تستقذره، فوجهه صلى الله عليه وسلم إلى آداب الطعام، فالتزمه عمر وجعله عادة وأدبا. فعن عمر بن أبي سلمة يقول: «كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي تحت رعايته)، وكانت يدى تطيش في الصحفة (أي لا تقتصر على موضع واحد في الإناء)، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياغلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طِعمتى بعد»[١٥٦]. ويجوز التتبع في الأناء مع من لم يعرف منه كراهية لذلك لفعله صلى الله عليه وسلم وتتبعه الدباء (القرع) من حوالي القصعة (أو الإناء).

ويقول أنس في كمال خلقه مع الصبيان وتعليمهم، «كان رسول الله صلى الله

---

(١٥٤) خ: ٣٧١٤.
(١٥٥) خ: ٥٢٣٠ و ٣٧٢٩ وم: ١٤٢/٧.
(١٥٦) خ: ٥٣٧٦.

عليه وسلم من أحسن الناس خلقا، فأرسلنى يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب، وفي نفسى أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس أذهبت حيث أمرتك. قال: قلت: نعم أنا أذهب يارسول الله.» وفي رواية أبطأت «على أمي قالت: ماحبسك. قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة. قالت: وما حاجته. قلت: إنها سر. قالت: لا تحدث بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك ياثابت» (وهو راوى الحديث)[١٥٧]. وكان صلى الله عليه وسلم إذا مر بصبيان سلم عليهم[١٥٨].

إرسال معاذ إلى اليمن:-

ومن الوفود التى قدمت، وفود اليمن فأسلموا، وبعث معهم معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وقال لهم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا[١٥٩]. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»[١٦٠]. وسأل معاذ أبو موسى كيف تقرأ القرآن فقال أتفوقه تفوقا (أي أقرؤه حينا بعد حين) قال فكيف تقرأ أنت يامعاذ. قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئى من النوم، فأقرأ ماكتب الله لى، فاحتسب نومي، كما أحتسب قومتى»[١٦١].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث واحدا من أصحابه أوصاه ومنهم معاذ بن

---

(١٥٧) م: ٧/٧٤.
(١٥٨) م: ٧/٦.
(١٥٩) خ: ٤٣٤١ و ٤٣٤٢.
(١٦٠) خ: ٣٥٥٨.
(١٦١) خ: ٤٣٤٢.

جبل رضي الله عنه. فعن ابن عباس: «لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذا إلى أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»[١٦٢]. وعندما بعثه صلى الله عليه وسلم، خرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله يمشى تحت راحلته، فلما فرغ، قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامى هذا، ولعلك تمر بمسجدى هذا وقبرى. فبكى معاذ مخافة فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا[١٦٣]. وكان صلى الله عليه وسلم إذا ودع رجلا أخذ بيده، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده ويقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك[١٦٤].

---

(١٦٢) خ: ٧٣٢٧.

(١٦٣) الحديث صحيح أخرجه الامام أحمد وقال ابن حجر في الاصابه بعد أن ذكره في ترجمة معاذ: الحديث صحيح (نقلا من صفة الصفوة: ٤٩٤).

(١٦٤) حديث صحيح من ص ج ص: ٤٦٧١.

الفصل السابع:

الوداع

وفي عاشر ربيع الأول، ودع صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم عندما مات وقال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا مايرضي الرب والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون. وفي رمضان من العام الذى قبض فيه أي سنة عشر، زاد صلى الله عليه وسلم من الخير والاعتكاف وعارضه جبريل القرآن مرتين بدلا من مرة واحده. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود مايكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن (أي يستعرض ما أقرأه إياه)، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة». وفي رواية أبو هريرة «كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذى قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذى قبض فيه»[١].

وعظه لنفوس الصحابة: -

وكان صلى الله عليه وسلم يعظ الصحابة في نفوسهم بالخوف من الله، مستعينا بأسلوب القصه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله، إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر، فجمع مافيه، وأمر البحر فجمع مافيه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يارب وأنت أعلم، فغفر الله له»[٢].

---

(١) خ: ٤٩٩٧، ٤٩٩٨.

(٢) م: ٩٧/٨.

ثم روى لهم مجادلة الإنسان عن حواسه وهم الذين سيشهدون عليه. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا. قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله. قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل»[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يعظهم أحيانا في مواطن العظة والتدبر كالمقابر. فعن علي كرم الله وجهه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس، فجعل ينكت بمخصرته[٤]، ثم قال: «ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة». قال: فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: **« فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى)»**[٥]. وقال لهم مرة «إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها، نجا سعد بن معاذ»[٦].

حجة الوداع :-

وفي السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت حجة الوداع لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها وقال: خذوا عني مناسككم

---

(٣) م : ٢١٧/٨.

(٤) المخصرة هي العصا الكبيرة التي يتكىء عليها.

(٥) م : ٤٦/٨-٤٧ والآيات من سورة الليل ٩٢ :٩-١٠.

(٦) حديث صحيح من ص ج ص : ٢١٧٦.

فإني لا أدرى لعلي لا أحج بعد عامي هذا. وحج معه - صلى الله عليه وسلم - أزواجه كلهن وخلق كثير، فحضرها من الصحابة أربعون ألفا رضي الله عنهم، فودع الناس وحذرهم وأنذرهم وقال: إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، ثم قال ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد ثلاثا. وقال صلى الله عليه وسلم في خطبته «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وربا الجاهلية موضوع وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن تمسكتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون. قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال: اللهم اشهد ثلاث مرات»(٧).

وفي رواية أخرى قال: النبي صلى الله عليه وسلم «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض: السنة اثنى عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟. قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم وأموالكم [وأعراضكم] عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه - (فكان محمد راوى الحديث إذا ذكره يقول: صدق محمد صلى الله عليه وسلم - ثم قال: ألا هل بلغت مرتين). كما قال صلى الله عليه وسلم «ويلكم أو ويحكم، انظروا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٨).

---

(٧) م: ٤/٣٩-٤٣.

(٨) خ: ٤٤٠٦ خ: ٢٢٣٥ وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع.

وفي حجة الوداع، حلق صلى الله عليه وسلم شعره ودفع نصفه الايمن إلى أبي طلحة (أبو أنس بن مالك) والنصف الثاني أمره أن يوزعه بين الناس[(٩)] . وبقي الشعر عند آل انس بن مالك حتى حصل على بعض منه ابن سيرين[(١٠)] . وقال ابن سيرين : لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها.

عيادته للمريض

وعاد صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع وهو مريض بمكة فقال سعد: يارسول الله أوصى بمالي كله؟ قال: لا. قلت: الشطر؟ قال: لا. قلت: الثلث؟ قال: فالثلث والثلث كثير، إنك تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة التى ترفعها إلى امرأتك، وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون ولم يكن له يومئذ إلا ابنة[(١١)] .

اكتمال الدين :-

ونزل عليه قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[(١٢)] وكان نزولها يوم عرفة بعد العصر وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات وذلك يوم الجمعة.

---

(٩) وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد بضع شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم وكان لايدخل معركة وهي معه إلا وغلب. وسقطت قلنسوته مرة، فشد على الكفار شدة حتى أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها، فقال لهم : خشيت أن أسلب بركتها (القاضى عياض : ٢ /١٢٧).

(١٠) خ : ١٧٠.

(١١) خ : ٢٧٤٢ وانتفاع الناس من سعد بن أبي وقاص كان مما غنموه على يديه عندما فتح بلاد فارس وغيرها من البلدان وأصاب الضرر المشركين من الفرس، كما أنه لما أمر سعد على العراق أتى بقوم ارتدوا فاستتابهم فتاب بعضهم وامتنع بعضهم فقتلهم، فانتفع من تاب وحصل الضرر للآخرين (فتح البارى : ٥ / ٣٦٧).

(١٢) سورة المائدة : ٥ : ٣.

عن طارق بن شهاب «أن أناسا من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. فقال عمر: أية آية؟ فقالوا: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ فقال عمر: إني لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة»(١٣). ولما سمعها عمر رضي الله عنه بكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مايبكيك. قال: إنه لم يكمل شيء إلا نقص قال: صدقت. فعاش بعدها صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثة أشهر ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا غيرهما من الأحكام.

رفقه بالنساء :-

وفي عودته من حجة الوداع، طلب من حادى الإبل الترفق بالنساء. فعن أنس بن مالك قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم حاد يقال له أنجشه. وكان حسن الصوت (وكان يسوق الإبل، فاشتد بهن السياق)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: رويدك يا أنجشه، لا تكسر القوارير، قال قتادة: يعني ضعفة النساء. قال أبو قلابة (أحد رواة الحديث): فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه(١٤). فانظر إلى تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم وكنايته عن الرفق بالنساء في المسير. وقيل إنه خشي - صلى الله عليه وسلم - عليهن، وخشيته هي من أن يتأثرن من حسن صوته فيقع في قلوبهن(١٥).

وفي عودتهم من مكة إلى المدينة في حجة الوداع، تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنا في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا (أي لم يمسها الماء بالكليه) فنادى بأعلى صوته «ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا»(١٦). فانظر إلى حرصه صلى الله عليه وسلم حتى في أصغر الأمور على رفع الصوت بالإنكار وتكرار الأمر ليفهم منه.

---

(١٣) خ : ٤٤٠٧ والآيات من سورة المائدة ٥ : ٣.
(١٤) خ : ٦٢١١ وخ : ٦١٤٩.
(١٥) فتح الباري : ٥٤٥/١٠.
(١٦) خ : ١٦٣.

ثم قفل - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة فدخلها في أواخر ذى الحجة فلبث فيها المحرم وصفر، ثم أمر الناس بالتجهيز إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد - رضي الله عنه. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا وأمر عليهم أسامة ابن زيد فطعن الناس في إمارته فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، و أيم الله إن كان لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده [فأوصيكم به، فإنه من صالحيكم][17]. فأخذ الناس في جهازهم.

اللهو والغناء المباح :-

وكان صلى الله عليه وسلم يغشى الناس في الأفراح ويجيب دعوة العرس ويسمع الغناء المباح ولكنه مع ذلك أنكر المبالغة في المدح وخاصة الغلو فيه كادعاء معرفة الغيب. قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بُني على (أي تزوجت)، فجلس على فراشى كمجلسك منى، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: لا تقولي هكذا وقولى بالذى كنت تقولين»[18]. وهو يتسق مع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»[19]. كما أوصى أصحابه بقوله «قولوا: ما شاءالله ثم شئت»[20]. وفي حديث آخر قال لعائشة عندما علم بزفاف امرأة (وكانت يتيمة في حجر عائشة) إلى رجل من الأنصار: ياعائشة، ماكان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[21]. وفي رواية: فهل بعثتم معها جارية تضرب الدف وتغنى؟ قلت: تقول ماذا؟ قال تقول:

---

(١٧) خ : ٦٦٢٧ وم : ١٣١/٧ وما بين القوسين المربعين من مسلم.
(١٨) خ : ٤٠٠١.
(١٩) حديث صحيح من ص ج ص: ٧٢٤٠.
(٢٠) حديث صحيح من ص ج ص : ٤٢٩٦.
(٢١) خ : ٥١٤٧ و خ : ٥١٦٢.

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ماحلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ماسمنت عذاريكم

وكان في المدينة مغنيتان إحداهما اسمها زينب والأخرى اسمها حمامة[٢٢]. والضرب بالدف خاص بالنساء دون الرجال على أرجح الأقوال.

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ودنو أجله :-

وعندما دنا أجله، تتابع الوحى وجاء جبريل ليعلم الناس أحكام الدين بعد اكتماله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه رجل [شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر] لايرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخديه، فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته بلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبدالله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الامة ربها، إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان. في خمس لايعلمهن إلا الله ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم **(إن الله عنده علم الساعة)**[٢٣] ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئا. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم[٢٤]. كما قال لهم صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطا، وسلفا بين يديه، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»[٢٥].

---

(٢٢) فتح البارى : ٢٢٦/٩.
(٢٣) والآية هي سورة لقمان٣١: ٣٤ **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾**.
(٢٤) خ : ٥. وم : ٣/١. وما بين القوسين المربعين زيادات من البخارى ومسلم.
(٢٥) م : ٦٥/٧.

وكان صلى الله عليه وسلم قد ألمح إلى قرب انتقاله إلى جنب مولاه. فعن أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وقال: إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده، فاختار ذلك العبد ماعند الله. قال: فبكى أبو بكر وقال: [فديناك بآبائنا وأمهاتنا]، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد خُيِّرَ. [فقلت في نفسي مايبكي هذا الشيخ أن يكون الله خير عبدا بين الدنيا وبين ماعند الله فاختار ماعند الله عز وجل]. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير. وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر لا تبك! إن من أمنَ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر(٢٦). وقد كان هذا الأمر قبيل وفاته في مرضه - صلى الله عليه وسلم - بخمسة أيام. وكان قد خرج إلى المسلمين وهو معصوب الرأس بخرقة من وجع رأسه.

وكان صلى الله عليه وسلم قد أخبر ابنته بدنو أجله. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي صلى الله عليه وسلم، فاطمة في شكواه الذى قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك (بعد وفاته صلى الله عليه وسلم) فقالت: سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذى توفى فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أنى أول أهله يتبعه (أي أول الناس لحوقا به) فضحكت»(٢٧). وكانت فاطمة رضي الله عنها أقرب الناس سمتا وهديا في قيامها وقعودها برسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها فعلت مثل ذلك.

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد كالمودع للأحياء والأموات، «فصلى على أهل أحد صَلاتَهُ عليَ الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إنى فرطكم وإني شهيد عليكم وإنى

(٢٦) خ: ٣٦٥٤ و م: ١٠٨/٧ وما بين القوسين زيادات منهما.
(٢٧) خ: ٤٤٣٣.

والله لأنظر إلى حوضى الآن، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا عليها (أي الدنيا)»[٢٨].

وكان صلى الله عليه وسلم قد أتى يوما من جنازة في البقيع، فلما دخل على عائشة، قالت: وارأساه. فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك لو كان وأنا حى فأستغفر لك وأدعو لك. فقالت عائشة: واثكلياه، والله إنى لأظنك تحب موتى، فلو كان ذلك لظللت آخر يوما معرسا ببعض أزواجك. فقال صلى الله عليه وسلم: بل أنا وارأساه، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبي الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبي المؤمنون[٢٩].

وبعد ذلك اشتكى صلى الله عليه وسلم في صفر يوم الاثنين في بيت ميمونة رضي الله عنها، وكان وجعة الخاصرة والصداع والحمي وكان يوعك وعكا شديدا وكان يدار به على نسائه ثم استأذنهن أن يمرض في بيت عائشة فأذن له[٣٠] وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما. ولما عجز عن الخروج إلى الصلاة أمر أبا بكر أن يصلي بالناس فصلى بهم[٣١]. عن ابن مسعود قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم [في مرضه] وهو يوعك [وعكا شديدا فمسسته بيدى] فقلت: يارسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قال فقلت: ذلك بأن لك أجرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل ذلك كذلك[٣٢]. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها[٣٣]. كما قال صلى الله عليه وسلم: «ليس من عمل يوم إلا

(٢٨) خ: ١٣٤٤.
(٢٩) خ: ٧٢١٧.
(٣٠) م: ٣١٢/١.
(٣١) م: ٣١٤/١.
(٣٢) خ: ٥٦٤٧ وما بين القوسين زيادة من م: ١٤/٨.
(٣٣) خ: ٥٦٤٨.

وهو يختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته. فيقول الرب: اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت»[٣٤].

شدة المرض :-

ثم ثقل عليه المرض صلى الله عليه وسلم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا وهم ينتظرونك يارسول الله قال: ضعوا لي ماء في المخضب[٣٥] ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء[٣٦] فأغمي عليه ثم أفاق والناس عكوف في المسجد لصلاة العشاء الآخرة فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس[٣٧].

ثم سعت عائشة إلى عدم تولية أبيها إمامة الصلاة. وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا إلا أني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي بكر[٣٨]. وكانت عائشة - رضي الله عنها - قد راجعته - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات وهي تقول له: «يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء فلم يسمع الناس، فمر عمر فليصل بالناس. وهو يقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فأمرت حفصة فراجعته فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف»[٣٩].

---

(٣٤) ص ج ص: ٥٣٠٨.
(٣٥) اناء نحو المركن الذى يغسل فيه.
(٣٦) أي ليقوم وينهض.
(٣٧) م: ٢/٢٠-٢١ وخ: ٨٧.
(٣٨) خ: ٦٧٨.
(٣٩) خ: ٦٧٩ و ٣٣٨٥، وإنكن صواحب يوسف أي في كثرة الالحاح في طلب ماتريدون اجتماعكم عليه وخاصة أن عائشة رضي الله عنها أضمرت هذا الأمر، فكانت مثل امراة العزيز استدعت النساء وبالغت في إكرامهن بالضيافة، وأضمرت أن يعذرنها في شغفها بحب يوسف (نقلا عن حدائق الانوار: ٧٤٩)

ثم أرسل (رسول الله صلى الله عليه وسلم) إلى أبي بكر أن يصلى بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس. فقال أبو بكر وكان رجلا رقيقا: ياعمر صل بالناس. فقال عمر: أنت أحق بذلك، قالت عائشة رضي الله عنها: فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام(٤٠).

ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين، أحدهما العباس لصلاة الظهر و أبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر، وقال لهما: أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد(٤١).

وقبل وفاته بأربعة أيام، أراد أن يكتب لهم كتابا، فاختلف الصحابة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالخروج من عنده. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب - قال النبي صلى الله عليه وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم»(٤٢).

---

(٤٠) خ: ٦٨٧، وما بين القوسين تكملة من م: ٢/٢٠-٢١.

(٤١) خ: ٦٨٧ و م: ٢/٢٠-٢١.

(٤٢) خ: ٥٦٦٩ وكان عمر قد امتنع إشفاقا على الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى لايكلفه في وجعه وخاصة أن الدين قد اكتمل. ويبدو أن الأمر لم يكن عزمة من الرسول صلى الله عليه وسلم بل أمر رده إلى اختيارهم، فلما اختلفوا، كف عن كتابة الكتاب وخاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع.

افتنان المسلمين من رؤيته :-

وكان صلى الله عليه وسلم قد غاب عن المسلمين مدة فحزنوا كثيرا لذلك، ثم كشف ستر بيته في يوم وفاته وأخذ ينظر إليهم مبتسما وهم يصلون، فافتتن المسلمون فرحا وطربا لرؤيته. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين و أبو بكر يصلي لهم لم يفاجئهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال، أنس: وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[٤٣] وما مر يومه.

وفاته صلى الله عليه وسلم :-

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذى مات فيه، وأخذته بحة يقول: (**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**)[٤٤]. وكان - صلى الله عليه وسلم - وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة [ثم يخير][٤٥]. كما قال صلى الله عليه وسلم «مامن نبي يمرض، إلا خير بين الدنيا والآخرة»[٤٦].

في رواية أخرى « ثم شخص بصره إلى السماء ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى. فقلت: إذا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح[٤٧]. قالت:

---

(٤٣) خ :٦٨٠ و ٤٤٤٨.
(٤٤) خ : ٤٤٣٥ والايات من سورة النساء : ٤ : ٦٩.
(٤٥) خ : ٦٣٤٨، م : ١٣٨/٧ وما بين القوسين المربعين من مسلم.
(٤٦) حديث صحيح من ص ج ص:٥٦٦٧.
(٤٧) خ: ٦٣٤٨، م: ١٣٨/٧.

فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى. وفي رواية أنه قال: اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى»[٤٨].

كما ورد «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عنده ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده[٤٩] - صلى الله عليه وسلم -.

ثبات أبي بكر:-

وعندما توفي صلى الله عليه وسلم، ذهل المسلمون وافتتن البعض منهم ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء أبو بكر وتلا آيات كريمات تتناسب ومقام الحدث، فعاد الناس إلى رشدهم. فعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مات و أبو بكر رضي الله عنه بالسنح[٥٠]، فقام عمر رضي الله عنه يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ويقول عمر في ذلك: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك] وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذى نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها. ثم خرج إلى الناس وقال: أيها الحالف (أي عمر) على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله، وأثني عليه ثم قال: ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت ثم تلا: (**إنك ميت وإنهم ميتون**)[٥١]. وتلا:

(٤٨) م: ١٣٧/٧.
(٤٩) خ: ٤٤٤٩.
(٥٠) أي العالية من المدينة.
(٥١) سورة الزمر ٣٩: ٣٠.

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الشاكرين)[٥٢]. قال: فنشج الناس يبكون حينئذ. ثم قال راوى الحديث: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها. قال عمر رضي الله عنه: والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات[٥٣].

وأذن بلال للصلاة قبل أن يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله انتحب (بكى بكاء شديدا) في المسجد وأبكى من كان معه في المسجد. فلما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعفى أبو بكر من أن يؤذن وخرج إلى الشام وقال لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفى صلى الله عليه وسلم لتمام عشر سنين من هجرته في السنة الحادية عشرة ضحى الاثنين ثاني عشر ربيع الأول في الوقت واليوم والشهر الذى دخل فيه المدينة ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر. وإنما تأخر دفنه لاختلافهم في موته حتى أزال الشك عنهم أبو بكر- رضي الله عنه -. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا من أثر السم الذى دسته اليهودية في الشاة[٥٤].

دفنه صلى الله عليه وسلم:-

ثم دفن صلى الله عليه وسلم، وأنكرت الصحابة نفوسهم بعد دفنه. فعن أنس: قال «لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم. فلما مات قالت: ياأبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما

(٥٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

(٥٣) خ: ٣٦٦٧، ٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، والعقر أن لايستطيع الرجل الوقوف على قوائمه من الخوف وقيل أن يفجأه الروع، فلا يستطيع التقدم أو التأخر.

(٥٤) كان ابن مسعود وغيره يرون أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم (القسطلاني: ٥٢٢/٤).

دفن، قالت فاطمة - عليها السلام -: يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله عليه السلام التراب»[٥٥]. وقد عاتبت فاطمة عليها السلام الصحابة على إلقاء التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفته عنهم من رقة قلوبهم عليه وشدة محبتهم له. وسكوت أنس عن الرد عليها رعاية لحالها ولأنهم لم تطب أنفسهم بذلك ولكنهم عملوه امتثالا لأمره. كما قال أبو سعيد «وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا». وقد جعلت في قبره قطيفة حمراء وألحدو له لحدا وبنوا عليه لبنا[٥٦].

وكانت آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا[٥٧] وقيل إنها نزلت قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعة أيام. وكان الوحى قد تتابع على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته «وأكثر ما كان الوحى يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٥٨]. وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة. وعندما توفي صلى الله عليه وسلم، كانت درعه مرهونة عند يهودى بثلاثين[٥٩].

وكان صلى الله عليه وسلم قد اختتمت بمقدمه، النبوة والرسالة كما وصف نفسه « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[٦٠].

---

(٥٥) خ: ٤٤٦٢.
(٥٦) م: ٦١/٣.
(٥٧) خ: ٤٥٤٤.
(٥٨) م: ٢٣٨/٨.
(٥٩) خ: ٢٧٣٩ و ٤٤٦٧.
(٦٠) خ: ٣٥٣٥.

المراجع

- ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧.
- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية.
- ابن الديبع الشيباني، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- ابن زكريا النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق عبد العزيز السردان، دار النفائس - بيروت، ١٩٨٤.
- ابن سعد، محمد منيع، الطبقات الكبرى، بيروت دار صادر، بدون تاريخ.
- ابن هشام، السيرة النبوية، دار المعرفة - بيروت.
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٩٣.
- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم الملوك)، تحقيق محمد أبو أفضل إبراهيم، دار التراث - بيروت، بدون تاريخ.
- الحافظ المنذري، مختصر صحيح مسلم تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٩٧٧، بيروت.
- القاضي عياض بن موسى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٧٢.
- أحمد بن حنبل، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٩٩٢.
- أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩١.

- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، بيروت دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
- جمال الدين ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت.
- سعيد بن عبد القادر باشنفر، الآيات البينات فيما في أعضاء الرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات، جدة، ١٤١٥.
- شمس الدين ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية.
- شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.
- شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية - بيروت، ١٩٩٠.
- إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، الأردن، دار النفائس، ١٩٩٦.
- صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٦٥.
- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، مكتبة العبيكان - الرياض ١٩٩٣.
- عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، مختصر سير الرسول صلى الله عليه وسلم، دار السلام - الرياض ١٩٩٤.
- فضل الله الجيلاني، تنقيح أحمد بن محمد طاحون، الفائق في الأخلاق والتربية ملخص فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد، ١٩٩٥.
- محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧.
- محمد بن صالح العثيمين، مختارات من زاد المعاد، دار الأفق للنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ.
- محمد حسين هيكل، حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق نايف العباسي ومحمد علي دوله، بيروت، دار القلم، ١٩٨٦.
- ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩.